جامعة غرداية

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر أكاديمي

الميدان:العلوم إنسانية

الشعبة : التاريخ

التخصص:تاريخ و حضارة المغرب الاوسط

بعنوان :

مدينة بسكرة في العصر الوسيط

دراسة تاريخية وحضارية

نوقشت و أجيزت علنا بتاريخ 20 /2015/05

من إعداد الطالبة : ضيف خديجة تحت إشراف الدكتورة : بن صغير حضري يمينة

أمام اللجنة المكونة من السادة:

الدكتور/بن علي الطاهر .....رئيسا

الدكتورة/بن صغير حضري يمينة.....(بجامعة غرداية) مشرفا

الأستاذ/كواتي مسعود.....مناقشا

السنة الجامعية:1435-1436هـ/2014-2015م.

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع

- إلى الوالدين الكريمين.
- إلى اخواتي وأخواتي.
- الى كل العائلة وأخص بالذكر جدتي العزيزة بارك الله في عمرها.
- إلى كل طالب علم ومعرفة.

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير الى أستاذة الفاضلة الدكتورة بن صغير يمينة، عن تبنيها هذا العمل وتتبعها له، منذ بدايته الى أن أستوي، وتحملها تعب التصحيح والتوجيه فلها مني جزيل الشكر.

كما أتقدم بالشكر الخالص لكل أساتذة قسم العلوم الإنسانية، وأخص بالذكر أولئك الذين كان لهم فضل علينا. الدكتور الطاهر بن علي والدكتور كواتي مسعود والدكتور بحاز إبراهيم.

كما أتقدم بالشكر الخالص لكل من ساهم في إخراج هده الرسالة إلى النور بالدعاء الخالص والكلمة الطيبة. وأخص بالذكر الأخت الصديقة الزميلة الطالبة لحباكي شريفة

التي كانت سندا لكامل دفعتنا تاريخ وحضارة

المغرب الأوسط

المقدمة

تتوزع عبر صحراء المغرب الأوسط مجموعة من المدن التي كان لها دور تاريخي وسياسي، واقتصادي بين التاريخ الطويل لهذه المدن، من ضمنها مدينة بسكرة التي تعد من أعرق مدن الجنوب الشرقي الجزائري، منبت النخيل، ومحط الرحيل، بوابة الصحراء، وإحدى الحواضر العلمية العريقة ببلاد المغرب الإسلامي، القلعة الحضارية التي امتدت جذورها عبر حقب زمنية سحيقة تعود الى آلاف السنيين، همزة وصل بين مدن الشمال الافريقي وجنوبه وطريق الحجيج عبر التاريخ، حاضنة رفات الصحابي الجليل وفاتح بلاد المغرب الإسلامي عقبة بن نافع الفهري، مع ثلة من الصحابة والتابعين.

يهدف هذا البحث بالاعتماد على النصوص التاريخية التي تعرضت الى مدينة بسكرة مصادر أولية أو جغرافية، لأنني ولا شك أجهل الكثير من تاريخ هذه المدينة في العصر الإسلامي، لقلة ما نشر من الإنتاج الفكري والحضاري الذي تركه علماء هذه الفترة، ولقلة الباحثين الذين انكبوا على دراسته، لذا يجدر التنبيه الى أن هذه المحاولة مرتبطة بما وفرته لي المصادر من مواد، وهي في معظمها مصادر جغرافية وكتب عامة إضافة إلى بعض مصادر التاريخ العام.

أسباب اختيار الموضوع:

الرغبة في البحث عن مواضيع جغرافية، مع وجود إرادة لدي لدراسة تاريخ مدينة من مدن المغرب الأوسط، او تلك الحواضر القائمة هنا وهناك والتي كان لها دورا تاريخيا وحضاريا، وقد لفت انتباه

مدينة بسكرة التي بالرغم من وجودها في الجنوب الا انها ذكرت في كثير من المصادر، ومما زاد في دفعي لخوض هذا الموضوع والتشجيع عليه هو اقتراحه من طرف الأستاذ الدكتور كواتي مسعود.

إشكالية الموضـــوع:

ما الدور الذي أدته مدينة بسكرة كمدينة صحراوية في العصر الوسيط سياسيا واقتصاديا، تاريخيا وحضاريا؟

ونظرا للجوانب العديدة التي يتضمنها موضوع الدراسة ولطول المدة الزمنية فإنني أجد نفسي أمام مجموعة من الإشكالات ألا وهي:

- ما المراحل التاريخية التي مرت بها مدينة بسكرة؟ وما هي العوامل المساعدة على ازدهارها؟
- ما الدور السياسي الذي قامت به هذه المدينة ببلاد المغرب الإسلامي؟
- ما المميزات الاقتصادية والحضارية لهذه المدينة؟
- ما نصيب مدينة بسكرة في الحركة المعمارية التي عرفتها مدن المغرب الأوسط؟

صعوبات البحث:

كما لا ننفي وجود بعض الصعوبات التي تواجه أي باحث، والتي لا يخلو منها أي بحث، منها ندرة المادة التاريخية وقلتها التي تهتم بتاريخ مدن المغرب الأوسط، ومن بينها مدينة بسكرة، ولاسيما فيما يخص الجانب الاقتصادي و المعماري، اذ أن مدينة بسكرة لم ترد في الكتب الا بكيفية قليلة

وحتى المعلومات التي وردت عنها متناثرة، لهذا توجهت الى الكتب الجغرافية التي أعطتني بعض وصف المدينة بصفة عامة، بما فيها إشارات عن الجانب الاقتصادي التي تم توظيفيها، بينما اعتمدت في الوضع الفكري والعمراني على دراسة حديثة وأسقطت عليها كتابات الجغرافيين فاستعنت فيها الجانب التحليلي المقارن، كما أني وجدت صعوبة في إعطاء صورة كاملة عن مظاهر الحياة العلمية والفكرية في بسكرة وذلك لانعدام مصادر متخصصة في هذا المجال وبالتحديد عن هذه الفترة، وان وجدت إنما هي مصادر تراجم وسير والتي ذكر فيها تراجم بعض أعلام بسكرة و العلماء الذين وفدوا او مروا بمدينة، ضمن تراجم أعلام آخرين أو إشارة اليهم، التي استطعت ان ابني من خلالها صورة مبسطة عن دور علماء بسكرة.

منهجية البحث:

يندرج هذا البحث، تحت عنوان مدينة بسكرة في العصر الوسيط دارسة تاريخية وحضارية في إطار دراسة تطور المدن في المجالين التاريخي والحضاري، ويشمل الجانب السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، الفكري والمعماري لمدينة بسكرة، أما فترة هذه الدراسة فهي فترة العصر الوسيط، التي تترجم فترة بداية الفتوحات الإسلامية، أي الفترة التي دخلت فيها الشعوب العربية فاتحة لبلاد المغرب الإسلامي عامة إلى سقوط الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط.

كما اعتمدت في دراستي على اتباع:

المنهج التاريخي الوصفي، وقد قسمت عملي الى دراسة تاريخية، تلتها دراسة حضارية، كما استعملت **المنهج التحليلي الاستنتاجي**، الذي يهدف الى تحليل الاحداث والمعطيات التاريخية المتوفرة لنصل في الأخير إلى استنتاج، وذلك بجمع المادة التاريخية التي تخدم جوانب الموضوع للوصول إلى نتائج سليمة.

التعريف بالمصادر والمراجع:

تنوعت المادة التاريخية من مصادر ومراجع التي اعتمدت عليها، منها المصادر التاريخية والجغرافية ومصادر الرحلة، بالإضافة الى كتب التاريخ العام، أما المراجع فهي عبارة عن دراسات حديثة عربية وأجنبية معربة، اهتمت بتاريخ مدينة بسكرة والتي استقيت منها معلوماتي ومن أهمها:

المصادر التاريخية:

1-كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لصاحبه عبد الرحمان بن خلدون(ت808هـ/1408م)، الذي شرع في تأليفه أواخر عام 776هـ/1375م، بقلعة بني سلامة الذي دام أربع سنوات، فكانت ثمرة جهده، وهو بصفة عامة الموسوعة العلمية لكل من أراد البحث في تاريخ المغرب والتاريخ الإسلامي الوسيط، وقد اعتمدت بشكل خاص على جزئيه السادس والسابع لما فيهما من مادة تاريخية متعلقة بموضوع البحث.

2-البيان المغرب في تاريخ الاندلس والمغرب، لابن عذارى (ت بعد 721هـ/1321م)، الذي يعد مصدرا تاريخيا هاما في التاريخ الاسلامي من حيث الأهمية، حيث استفدت منه في المعلومات التاريخية حول تراجم لبعض الشخصيات.

المصادر الجغرافية:

1-أبو عبيد الله البكري (ت487هـ/1096م)، في كتابه "المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" الذي هو جزء متبقي من كتابه الجغرافي " المسالك والممالك" ومنه القسم الخاص بوصف المغرب الذي نشره ديسلان عام1911م، حيث يذكر وصفا خاصا بالمدينة فاستفدت منه من خلال استنتاجي أن المدينة محيط عمراني غني بجملة من الحصون ومهيأ لأية نهضة اقتصادية وثقافية وفكرية.

2-الادريسي أبو عبد الله محمد الشريف(ت559هـ/1160م)، في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الذي اهتم كثيرا بذكر الطرق والمدن والمسافات والابعاد بينها، ووصف معالمها وأنهارها وجبالها، وقلما يتعرض الى تاريخ انشاء المدن، وكتابه يصلح لأن يكون خريطة طبيعية جغرافية، استخدمت منه وصف المدينة.

3-الحميري محمد بن عبد المنعم السبتي (ت في أواخر ق 9هـ/ 15م)، من خلال كتابه الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس وهو عبارة عن معجم جغرافي استنبطت منه مدى الثراء الزراعي للمدينة.

الدراسات السابقة:

على الرغم ان الدراسات حول مدينة بسكرة كانت محصورة وتعد على الأصابع ومعظمها ملتقيات، وهي دراسات أجريت أثناء كتابات حول تاريخ المدينة، حيث تعرضت الى الوصف العام للمدينة بما فيها تاريخها الحديث والمعاصر.

الى جانب هذا اعتمدت على بعض المقالات التي تناولت الجانب التاريخي للمدينة وبعض المحاضرات التي وردت ضمن ملتقيات خاصة بمدينة بسكرة، وخاصة الملتقى الوطني، بعنوان بسكرة عروس الزيبان وبوابة الصحراء لفوزي مصمودي من مجلة الفيصل العدد 315.

خطة البحث:

من خلال المعلومات التي توفرت لدي من المصادر والمراجع تمكنت من وضع الخطة التالية، الفصل التمهيدي، الإطار الجغرافي لمدينة بسكرة، الذي تناولت فيه الموقع الجغرافي والفلكي للمدينة، بمافيها التضاريس والمناخ السائد، وذلك لمعرفة طبيعة المنطقة، بالإضافة الى نوعية التربية الموجودة بها، ومصادر المياه التي تتزود بها المنطقة، وبالتالي الغطاء النباتي التي تكتسيه أرضها.

الفصل الأول المعنون ببسكرة النشأة والتطور، الذي حمل شطرين، فتطرقت أولا، الى نشأة المدينة، والعوامل المساعدة على نشأتها، بعد الحديث عما، أورده الجغرافيين والمؤرخين عنها، كما أدرجت فيه أيضا عن أصل تسمية المدينة، وتعرضت إلى التركيبة السكانية التي خلقت بالمدينة، ثم تطرقت لبسكرة في العصر الإسلامي، الذي تضمن الحالة السياسية للمنطقة من الفتح الإسلامي

وقيام الدويلات، الأغلبية والفاطمية إلى قيام الدولة الحمادية والحفصية بالمغرب الأدنى التي كانت المنطقة في اغلب الأحيان تحت حكمها.

بينما كان الفصل الثاني، بعنوان المظاهر الحضارية لمدينة بسكرة، تعرفت فيه أولا الى الأوضاع الاقتصادية، من خلال تطرق الى مجال الزراعة وعن أهم المنتجات بالمدينة بشقيه الزراعي والحيواني، ثانيا تناولت الحركة العلمية بالمنطقة من خلال دراسة لأهم العوامل المساعدة على تنشيط الحركة الفكرية بالمنطقة، بالإضافة الى ذلك، أبزرت أهم العلماء الوافدين بما في ذلك معرفة مدى مساهمتهم في اثراء الإنتاج الفكري بالمنطقة، كما تعرضت لذكر أهم العلماء الذين ظهروا بالمنطقة.

ثم الفصل الثالث والأخير، عالجت فيه البنية المعمارية ببسكرة في فترة االدراسة، حيث أبرزت الخصائص التي تميزت بهم العمارة في بسكرة، وذكرت مختلف أنواع العمارة سواء العسكرية، الدينية والمدنية.

وفي الأخير يمكن القول، أن تاريخ مدينة بسكرة الذي غيبته المصادر التاريخية التقليدية أو كتب التاريخ العام، يمكن قراءته في كتب التصوف والمناقب التي أولت اهتمام كبير لشرائح المجتمع، كما أن ذات المصادر يجد بها الباحث الأخبار السياسية والاقتصادية والفكرية لهذه الفئة، لذا نقول بأن الموضوع مازال يحتاج إلى التقصي والتنقيب في مصادر مختلفة، لم يسمح لنا الوقت باستيفائها نأمل أن يسعفنا الحظ في العثور على مصادر جديدة تكمل البحث وتزيد من اتساع مجال عمقه.

والله ولي التوفيق

الفصل التمهيدي

الإطار الجغرافي

1- الموقع الجغرافي والفلكي.

2- التضاريس.

3- التربة.

4- المناخ.

5- مصادر المياه.

6- الغطاء النباتي.

موقع مدينة بسكرة

1/ الموقع الجغرافي والفلكي:

وجدت مدينة بسكرة على السفوح الجنوبية لجبال الأوراس الغنية بالمجاري المائية، وهي تمثل أقصى الشمال الشرقي لصحراء المغرب الأوسط،[1]

وبذلك صنفت مدينة بسكرة بأنها تقع في الجهة الجنوبية الشرقية الجزائرية(حاليا)، ويحدها من الشمال مدينة باتنة، ومن الشمال الشرقي مدينة خنشلة، ومن الشمال الغربي مدينة المسيلة، ومن الجنوب مدينة الوادي، ومن الغرب والجنوب الغربي مدينة الجلفة (أنظر الخريطة الموالية)، وتقع بسكرة فلكيا ما بين خط طول 24° شرق خط غرينتش، وخط عرض 27°شمالا.[2] وذلك استنادا على ما ذكره، ابن سعيد المغربي" أن مدينة بسكرة من حيث الطول هي أربعة وعشرين درجة وخمس وعشرين دقيقة والعرض سبع وعشرين درجة ونصف"[3].

---

[1]عبد الرحمان بن محمد الحضرمي بن خلدون(ت808هـ/1401م): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط المتن والحاشية، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، ج6/ ص585 العبر، ج585/6.

[2]عبد الحميد زردوم: **تاريخ بسكرة القديمة**، ترجمة، أمال هيدال، مطبعة المنار، بسكرة، الجزائر، 2003م، ص22.

[3]ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى: كتاب الجغرافيا، تحقيق وتعليق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982م، ص32.

فكانت لهذا الموقع أهمية لما عرفته بسكرة في مكانتها تاريخيا وحضاريا، كما تعد بسكرة من أهم واحات منطقة الزيبان، ومن أجمل واحات الجزائر على العموم كما تدعى أيضا ملكة الجنوب.[1]

والخريطة[2] الموالية تبين ما تم التطرق إليه.

[1] أبي عبيد البكري (ت487هـ): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك**، مكتبة المثنى، بغداد، دون سنة، ص 51، انظر أيضا، إبراهيم محمد الساسي العوامر: **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تعليق، الجيلالي بن إبراهيم العوامر، طبعة الجزائر، عاصمة الثقافة العربية، ثالة الأبيار، الجزائر، 2007م، ص32.

[2] منتديات الشروق الجزائري.

2/ التضاريس:

تعتبر جبال الأوراس بقممها الشامخة التي ترتفع في جنوب قسنطينة أشد المناطق المغرب الأوسط ارتفاعا، ووراء جبال الأوراس، تبدأ صحراء المغرب الأوسط الشرقية التي يمكن الوصول إليها انطلاقا من باتنة عبر طريقين مختلفتين، ولعل أجمل الطريق وأمتعها هي التي تقطع سلسلة الأوراس في عرضها، وهي تمر بوادي البيوض أو بوادي عبدي (حاليا) وتمر بمنعة وبمضيق معارفة، والطريق الأخرى هي أسهل من الأولى، وعلى الرغم من أنها تحاول تجنب الجبال فهي مع ذلك طريق جبلية، والأرض تمر بها الطريق رتيبة حتى تصل إلى عين توتة، وحينئذ تبدأ في التعرج والانعطاف والصعود والهبوط، حتى تصل إلى القنطرة[1]التي تعتبر حلقة الوصل مادية بين التل الخصيب وجوه المعتدل، ورمال الصحراء التي لا نهاية لها والتي لا يلتفت نظر السائح في أرضها سوى غابات النخيل التي تصادفه بين الفينة والأخرى.[2]

وفي مضيق القنطرة[3] الذي تعلو غاباته حيطان من الصخر الأملس التي تعكس حرارة الشمس مضاعفة عدة مرات، يجري نهر صغير في رفق وهدوء في معظم فصول السنة ولكنه قد يطغى أيضا ويصبح سيلا عارما، وبعدما يخرج السائح من هذا المضيق الذي يسميه الأهالي بحق "فم الصحراء" يجد نفسه في قفر لا تؤنس وحشته سوى واحات صغيرة تنتشر هنا وهناك على ممر الطريق، فهنا وجدت منطقة بسكرة في

---

(1)القنطرة: ممر إلى الجنوب وتسمى "واد القنطرة" الواصل بين التل والصحراء، شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقية الشمالية**، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي، تعريب محمد مزالي البشير بن سلامة، ج1، ص 16

(2)إسماعيل العربي: **الصحراء الكبرى وشواطئها**، وحدة الرغاية، المؤسسة الوطنية المطبعية للفنون، 1983م، ص 146

(3)إسماعيل العربي: المرجع نفسه، ص146.

هذه التضاريس الوعرة الموسومة بالجبال والمرتفعات.[1]وبها الكثبان الرملية، تميزها الحرارة القاسية في فصل الصيف[2].

ومن ذلك نستنتج أن تضاريس المنطقة تكونت من عناصر متباينة حيث تمركزت الجبال بها في الشمال، واحتلت مساحات شاسعة وهامة جدا، وامتدت السهول على محورها الشرقي والغربي في لوطاية، الدوسن، ليون، طولقة،[3] سيدي عقبة وزريبة الوادي.

3/ التربة:

تتميز بالخصوبة وهي عميقة نوعا ما، وخصبة للغاية بحكم المناخ شبه الجاف الذي تكتسيه المنطقة وباعتبار موقعها على مشارف الصحراء، وقد تكونت الهضاب في الناحية الغربية من إقليم المنطقة بناحية أولاد جلال، وسيدي خالد، أما المناطق الجنوبية والشرقية فقطعتها المنخفضات والكثبان الرملية ومن أهمها "شط ملغيغ".[4]

---

[1]إسماعيل العربي: نفسه، ص146-147

[2]نفسه، ص 147.

[3]طولقة: مدينة بالمغرب من ناحية الزاب الكبير من صقع الجريد، ينسب اليها عبد الله بن كعب بن ربيعة، انظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي بن عبد الله الحموي(ت626هـ/1228م): **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1398هـ/1977م، مج4/ ص50

[4]سلسلة مدن جزائرية، **بسكرة**، **شمس** الزيبان للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة، تصميم سليم نجاعي، ط1، 2011م، ص ص10-11.

4/المناخ:

يعود اضمحلال الزراعة، والمدن على حواف الصحراء خلال ما قبل التاريخ إلى عوامل بشرية وأخرى مناخية، وقد لوحظ بعد وقت من الزمن أن هجوم الجماعات البشرية المتبربرة وتدميرها لمشاريع الري، وانتشار الفوضى والاضطرابات كان من بين الأسباب التي أعاقت الزراعة، أما الفترة التاريخية على اعتماد بعض النصوص للمؤرخين القدامى أمثال الإغريق والرومان الذين يجمعون على أن منطقة الصحراء كان يغلب عليها الجفاف ، وهذا ما أكده هيرودوت" ومن هناك وبعد السواحل التي كانت مسكونة توجد الحيوانات المتوحشة والمناطق الصحراوية القاحلة والخالية من كل شيء".[1]أما استرابون يذكر "أن المنطقة الصحراوية خلال القرن الأول ق.م بأنها كانت رملية قاحلة".[2]

بالإضافة إلى أن تقلب المناخ وميوله إلى الجفاف في الأزمنة المتعاقبة بسببه، جفت العديد من العيون والآبار التي كانت منتشرة في المنطقة، وهنا يمكن أن القول أن قلة الأمطار وتعميق الانحصار لمجاريها نتيجة زوال الغلاف النباتي والأشجار التي تعيق مجرى الأنهار.[3]

ومن ذلك نستنتج أن منطقة الصحراء أو الجهة الجنوبية الشرقية للجزائر (حاليا) يسودها مناخ صحراوي.[4] وعلى العموم، مدينة بسكرة وقعت على مشارف الصحراء وذلك مما أعطاها مناخا شبه جاف إلى جاف نسبيا، وهذا راجع إلى عدة أسباب أهمها:

---

[1]محمد الصغير غانم: تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية، الآثار، الزراعة والتاريخ، الفترة الرومانية، مطبعة عمار قرفي، جمعية التاريخ والثرات لمنطقة الاوراس، دون بلد، ص 45.

[2] المرجع نفسه، ص 46.

[3]المرجع نفسه، ص ص45-47.

[4]فوزي مصمودي: **بسكرة عروس الزيبان وبوابة الصحراء**، مجلة الفيصل، العدد 315، بسكرة، الجزائر، ص07.

- امتداد سلسلة الأطلس من الجهة الشمالية.
- جبال الأوراس والزاب تحيط بالمنطقة من جهات أخرى.

ومن المعروف أن الجبال تولد الحرارة الناتجة عن الضغط الجوي، وخاصة في فصل الصيف كما أنها محمية من حركة الرياح الموسمية الآتية من الشمال والغرب، وهذا ما أعطى للمنطقة مناخا متميزا عن غيرها، حيث يكون شديد الحرارة ومصحوبا عادة برياح "السيروكو"، كما أنها تميزت أيضا، بفصل شتاء بارد وجاف نسبيا مع تساقط كمية من أمطار ضعيفة تصل إلى مئة وخمسون ملم سنويا في وقتنا الحالي.[1]

على العموم مناخ مدينة بسكرة شبه جاف او جاف نسبيا لانفتاحه على المؤثرات الجنوبية الحارة،[2] وباعتبار المدينة واحة ومن أشهر الواحات الجزائرية على الإطلاق، جعلت منها مناخا يتلاءم مع أنواع الزراعات والحبوب وخاصة زراعة النخيل ونتيجته أجود أنواع التمور.[3]

5/مصادر المياه:

تتزود منطقة بسكرة بالمياه الجارية، الآتية من خارجها، التي هي على شكل جداول، حيث كان أغلبها يأتي من وادي بسكرة المعروف بوادي الجدي، كما أنها تتزود أيضا بالمياه الجوفية التي تستخرج من الآبار لأن المنطقة تميزت بوفرة الآبار،[4] وبداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة".[5]

---

[1] سلسلة مدن جزائرية: المرجع السابق، ص 12.

[2] فوزي مصمودي: المقال السابق، ص 07.

[3] أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للاتصال، رويبة، الجزائر، 2010م، ص 247.

[4] مختار حساني: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الجنوب**، دار الحكمة، الجزائر، 2007م، ج2/ص08.

[5] أبو عبيدة البكري: المصدر السابق، ص ص 52-53.

مما سمح لسكانها الحفاظ على البساتين والمساهمة الكبيرة في غرس الأشجار وخاصة أشجار النخيل، وذلك لتحمله الجفاف الذي تتميز به معظم المناطق الصحراوية، وعامل الحرارة الكبير في فصل الصيف.[1]وفي وصف البكري لمدينة بسكرة "وبداخل بسكرة جنان مليح يدخل إليه الماء من النهر".[2]

وقد احتوت المنطقة منذ القدم على خزانات (مخازن للمياه) لكثرة الآبار بها، حيث أحيطت بها البحيرات التي بها الأسماك داخل تلك البحيرات متنوعة، كما أنها أحيطت كذلك بالنخيل وأشجار الزيتون وعلى مختلف جوانبها خنادق، التي كانت الحامية من هجمات الأعداء، "وإذا أتاهم العدو أطلقوا الماء في الخنادق ليمتلئ ويصبح سدا منيعا في وجه العدو".[3]

وباعتبار أن بسكرة واحة،[4] والتي هي بمثابة جزيرة في بحر الرمال يحيط بها الامتداد الرتيب وغير المتناهي من جميع الاتجاهات، والمسافر في الصحراء يستدم نظره عندما يقترب من إحدى الواحات ما بين هذه الجنات اليانعة والخضرة الدكناء والمياه المتدفقة من المتناقض مع ما يحيط بها من الرمال القاحلة وانعدام كل أثر للحياة.

---

(1)مختار حساني: المرجع نفسه، ج2، ص 08.

(2)أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 53.

(3)أحمد خمار: **تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2012م، ص10.

(4)الواحة: مفرد الواحات، وهي كلمة أجنبية، قال ياقوت الحموي، إنه لا يعرف معناها ولا أصلها، وإن كان يظن أنها قبطية، ثم ذكر أنها ثلاث كور في غربي مصر، ثم غربي الصعيد، أنظر، اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 116

فالحياة المتدفقة التي تصادفنا في الواحات مصدرها الماء الذي يجري تحت الأرض[1]،فأغلب الواحات تستمد مياهها من المياه الجوفية (الآبار) لأن المطر الذي يسقط في الصحراء لا يبقى فوق سطح الأرض إلا وقتا قصيرا، قبل أن يتبخر بفعل حرارة الجو او تمتصه الرمال القاحلة، فيهبط بسرعة إلى طبقات الأرض السفلى، حيث يجد المجاري الملائمة حتى يشكل احتياطا ثابتا لا يلبث أن يندفع من طبقة سفلى إلى طبقة عليا، ثم يعود من جديد إلى سطح الأرض وهذا ما ينطبق تقريبا على المجاري التي توجد بها المناطق الصحراوية والشرقية الجنوبية للجزائر.[2]

والثروة المائية التي يحتوي عليها جوف الأرض في الواحة بصفة عامة هي المياه التي ترويها أنهار ومياه جارية على سطح الأرض، وهذا مثلا وجد في معظم الواحات التي تستمد مواردها من المياه الجوفية الكامنة في أعماق باطن الأرض، وعلى معرفتنا أن مياه الأمطار التي قد لا تنزل أكثر من مرة أو مرتين في السنة وتتبخر نسبة كبيرة منها لا يكفي لتكوين احتياطي الواحة على المدى الطويل، فالحياة تستمر في واحة عدة قرون متوالية، مثل ما هي في وادي ريغ[3]وميزاب وبسكرة.[4]

لذلك عرفت بسكرة بكثرة مياهها، ومما أعطى لها ثراء اقتصاديا لا بأس به خاصة في مجال الزراعة، النخيل والزيتون والحبوب... ، "حيث أنها في القرن السادس هجري/ الثاني عشر الميلادي، كانت محاطة بخنادق وتسقى المدينة بآبار وبعض الأنهار وكان لها خزان كبير عمقه داخل الأرض أربعون مترا يستعمله

---

[1]اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 116.

[2]المرجع نفسه، ص117.

[3]وادي ريغ: إقليم بالقرب من قلعة بني حماد بالمغرب، وهو بلد صغير، حسن وبه زروع وخصب ومياه جارية، انظر، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3/ ص113، أيضا، المقريزي: **جنى الازهار من الروض المعطار**، تقديم وتحقيق وتعليق، محمد زينهم، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1426هـ/2006م،ط1، ص65.

[4]إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص118-119.

السكان عند الحاجة إلى مائة وكان يستخرج من حافة هذا الخزان الطين لاستعماله في صنع الأواني المنزلية وهذا الخزان تحول الآن إلى بستان كبير يسمى بالبستان الفارق موجود بين قداشة وزقاق الشرفة ويسمى الفارق لأنه عميق جدا".[1]

6/ الغطاء النباتي:

يمكن تصنيف الغطاء النباتي في مدينة بسكرة وفقا لمعدل سقوط الأمطار والمناطق المناخية بها، فمناخها الشبه جاف ساعد على وجود ثروة زراعية كبيرة بها، فهي أولا وقبل كل شيء مدينة النخيل وتدعى ملكة الزيبان قديما، والنخيل على أنواع مختلفة في الذوق واللون"،[2]وبها أنواع التمور وأكثر تمرها الجنس المعروف بالكسبا وهو المعروف ببلاد المشرق وبمدينة الرسول صل الله عليه وسلم وغيرها بالسيماني، وببسكرة أيضا جنس من التمر يعرف باللياري وهو أبيض أملس وكان صاحب القيروان يأمر عماله بالمنع من بيعه، وبعث ما هناك منه إليه لطيبه وحسنه".[3]

كذلك إن أرض بسكرة تصلح للنباتات وزراعات أخرى منها، الحبوب المتمثلة في القمح والشعير، وبها غابات الزيتون وبها بساتين كثيرة، تحتوي على أشجار متنوعة وورود وأغلب النباتات التي تنبت على وجه الأرض تكاد تكون موجودة بها، كما أن الفواكه وجدت فيها كالكروم والبرتقال وفواكه أخرى

---

[1] احمد خمار: المرجع السابق، ص68.

[2] المرجع نفسه، ص 72.

[3] مجهول، (عاش القرن 6هـ/12م): **الاستبصار في عجائب الأمصار**، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق، بغداد، 1985، ص 173.

ضرورية للحياة، وكل ذلك راجع إلى عامل المياه المتوفرة بكثرة حتى أنها كانت تتدفق وتخزن في خزانات لأسباب أخرى".[1]

لذا نقول ان مدينة بسكرة تميزت بموقعا جغرافيا هاما جدا، جعل منها همزة وصل بين كثير من مدن المغرب الأوسط، بل ومع مدن أخرى خارج المغرب الأوسط، في بلاد السودان ومدن المغرب الأدنى.

[1]أحمد خمار: المرجع السابق، ص 72.

الفصـــــل الأول

بســكـرة النشـــأة والتطـــور

I. نشأة مدينة بسكرة.

1- مدينة بسكرة من خلال المصادر الجغرافية والتاريخية.

2- بسكرة بين التأسيس والنشأة.

3- أصل تسمية المدينة.

II. تاريخ مدينة بسكرة في العصر الإسلامي.

1- بسكرة أثناء الفتح الإسلامي.

2- بسكرة في عهد الأغالبة والفاطميين.

3- بسكرة في عهد الحماديين والحفصيين.

4- التركيبة السكانية لمدينة بسكرة.

I. نشــأة مدينة بسكرة

1. مدينة بسكرة من خلال المصادر الجغرافية والتاريخية

تناول كل من الرحالة الجغرافيين، والمؤرخين القدامى، مدينة بسكرة وذلك من خلال زيارتهم لها او ما نقلوه عن الاخرين، ونجد أول الجغرافيين الذي تحدث عن بسكرة في مؤلفاته هو:

أبو عبيد البكري بحيث جاء في وصفه ان المدينة "وبسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة، وهي مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار وهي مدينة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات، وحواليها بساتين كثيرة وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال فيها أجناس التمور منها جنس يعرفونه بالكسبا وهو الصيحاني يضرب به المثل بعضه أملس كان عبيد الله الشيعي يأمر عماله بالمنع من بيعه والتحظير عليه وبعث ما هنالك منه إليه وأجناس كثيرة يطول ذكرها لا يعدل بها غيرها وحول بسكرة أرباض خارجة عن الخندق المذكور وببسكرة علم كثير وأهلها على مذهب أهل المدينة ولها من الأبواب باب المقبرة وباب الحمام وباب ثالث سكانها المولدون وحولها من قبائل البربر سدراتة وبنو مغراوة أهل بيت بني خرز وبنو مزني وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة منها في الجامع بير لا تنزف وداخل المدينة جنات يدخل إليه الماء من النهر وبها جبل ملح[1]

[1]أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص52.

يقطع فيه الملح كالصخر الجليل ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملونه في أطعمتهم وتعرف ببسكرة النخيل...، ومن مدنها مدينة جمونة ومدينة طولقة ومدينة مليلي...."[1]

والحموي هو الآخر جاء في معجمه وصفا عنها-بسكرة-:" ...، بلدة بالمغرب من نواحي الزاب بينها وبين قلعة بين حماد مرحلتان، فيها نخل وشجر وقسب جيد، بينها وبين طبنة مرحلة، كذا ضبطها الحازمي وغيره، يقول بسكرة بفتح أوله وكافه، قال: وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة، وبها جبل ملح يقطع منه كالصخر الجليل، وتعرف ببسكرة النخيل...، إليها ينسب أبو القاسم يوسف بن علي.....، بن خويلد البسكري"[2].

أما الحميري فقد ذكرها كما يلي:" بسكرة من بلاد الزاب بأرض المغرب وهي قاعدة تلك البلاد، وهي كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، وعليها سور وخنادق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وحواليها بساتين كثيرة وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال، فيه أجناس من الثمر منها جنس يعرف بالكسبا والصيحاني يضرب به المثل لفضله على غيره، وجنس أخر يعرف باللياري، ابيض أملس. وكان عبيد الله الشيعي صاحب القيروان يأمر عماله بالمنع من بيعه ويبعث ما هناك منه إليه لطيبه وحسنه، وتعرف هذه البلدة ببسكرة النخل، ويشق غابة بسكرة نهر كبير ينحدر من جبل أوراس يسقي بساتينها ونخيلها وهو نحو ستة أميال في غابة متصلة بالمدينة سوى غابات كورها وقراها وحولها بسكرة أرباض خارجة عن الخندق، وبسكرة دار فقه وعلم كثير وفيها العلماء وأهلها على

[1] أبي عبيد البكري: المصدر السابق، ص51.

[2] ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج1/ص422.

مذهب أهل المدينة ولها من الأبواب باب المقبرة....، ومن قرى بسكرة قرية ملشون منها كان أبو عبد الملك الملشوني، كان فقيها عالما يحمل عنه العلم....."[3]

وقد أضاف الادريسي" حصن بسكرة...، وهو حصن منيع في كدية تراب عال وبه سوق وعمارة وبه أيضا من الثمر كل غريبه وطريفة".[4] في حين ذكر القلقشندي أن "بسكرة مدينة من مدن بلاد الجريد"،[3]وقد وصفها المقديسي، هو الآخر بحيث يذكر:" أن المسيلة هي مدينة الزاب وتتبعها مقرة،[4]طبنة، بسكرة، بادس، تهودا، طولقة، جميل، بنطيوس، أدنه، أشير".[5]و"بسكرة بلدان النخيل والأنهار".[6]

وقد ذكر وصف ابن خلدون بسكرة في عصره قائلا: "هذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد، وحده من لدن قصر الدوسن بالمغرب إلى قصور هولة وبادس في المشرق، يفصل بينه وبين البسيط الذي يسمونه الحضنة، جبل جاتم من المغرب إلى المشرق، ذو ثنايا تفضي إليه من تلك الحضنة وهو جبل درن المتصل من أقصى المغرب إلى قبلة برقة، ويعتمر بعض ذلك الجبل في محاذاة

---

[3]محمد بن عبد المنعم الحميري (ت 9هـ/ 15م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، معجم جغرافي، تحقيق، إحسان عباس، مطابع هيد لبرغ، مكتبة لبنان، بيروت،ط1975،1م، ص ص113-114.

[4]أبو عبد الله محمد الشريف الإدريسي (ت559هـ/1164م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1414هـ/1994م، دون طبعة، ج2/ ص 264.

[3]أبي عباس أحمد القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1340هـ/1922م، ج14/ص.185.

[4]مقرة: بلد صغير بالمغرب وبها مزارع وحبوب وأهلها يزرعون الكتان، انظر، المقريزي: المصدر السابق، ص68.

[5]المقديسي المعروف بالبشاري: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي،ط3، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص 221.

[6]المصدر نفسه، ص 264.

الزاب من غربيه بقايا عمرت من زناتة،[1] ويتصل من شرقيه بجبل أوراس المطل على بسكرة المعترض في ذلك البسيط من القبلة إلى الجوف، وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعا جمعا، يعرف كل واحد منها بالزاب، وأولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة، ثم زاب مليلة وزاب بسكرة وزاب تهودة وزاب بادس، وبسكرة أم هذه القرى كلها".[2]

ولعل منطقة بسكرة عرفت في العصر الوسيط تحت اسم الزاب وهذا ما أكده نص ابن خلدون، والزاب الكبير حسب ياقوت الحموي "يشمل بسكرة، توزر، قسنطينة، طولقة، قفصة،[3] نفزاوة، نفطة،[4] وبادس"[5].

أما ابن سعيد المغربي فيذكر بسكرة ويصفها من حيث الموقع الفلكي " أن مدينة بسكرة من حيث الطول هي أربع وعشرون درجة وخمسة وعشرون دقيقة والعرض سبعة وعشرون درجة ونصف".[6]

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج06/ ص 585.

[2] المصدر نفسه، ج6/ ص 585.

[3] قفصة: مدينة كبيرة، تتوسط القيروان وقابس وهي مشهورة بالنخيل والزيتون والفستق، كما ان فيها عيونا كثيرة. انظر، شهاب الدين العمري أحمد بن الفضل الله العمري، (ت 746هـ): **مسالك الابصار في ممالك الامصار، ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب**، تحقيق، حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، الإمارات العربية، دون سنة، ص144، أيضا،محمد بن علي بن سعود أبو عبد الله العبدري(ت700هـ/ 1300م): **رحلة العبدري**، تحقيق وتقديم علي إبراهيم كروي وشاكر الفحام، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط2، 1426هـ/ 2005م،ص 119.

[4] نفطة: من أعمال الزاب الكبير، وهي مدينة كبيرة وغلات ومياه وفيرة سائحة، أنظر، ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج5، ص296.

[5] الحموي: نفسـه، مج 3، ص 124.

[6] ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 32.

أما صاحب الاستبصار فقد أورد عنده ان مدينة بسكرة" هي مدينة كبيرة، وحواليها حصون كثيرة وقرى عامرة وهي قاعدتها، ولها غابة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وجميع الثمار ببسكرة النخل لكثرته بها وفي جميع البلاد انما يصيحون عليه "بسكرة" وأكثر ثمرها الجنس المعروف بالكسبا وهو المعروف ببلاد المشرق وبمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عم وغيرها بالسيماني، وببسكرة أيضا جنس من التمر يعرف باللياري وهو أبيض أملس وكان صاحب القيروان يأمر عماله بالمنع من بيعه، وبعث ما هناك منه إليه لطيبه وحسنه. ويشق غابة بسكرة نهر كبير ينحدر من جبل أوراس يسقى بساتينها ونخلها. ونحو ٦ أميال في غابة متصلة بالمدينة يشق غابتها وقراها، وبسكرة دار فقه وعلم، فيها العلماء ومن قرى بسكرة قرية تسمى ملسون، ومنها أبوعبيد الله الملسوني، وكان عالما وفقيها يحمل عنه العلم، وهو الذي أخبرني أن في طريق بسكرة جبلا وفيه كهف فيه رجل قتيل لم يعرف أحد من أي عهد هو ولم تغيره الدهور ولا تقادم الأزمان كأنما جراحه تقطر دما كأنه قد قتل من يومين، وتخبر الكافة عن الكافة والخلف عن السلف، أنهم كذا عرفوه منذ كانوا، وقد نقله أهل تلك النواحي ودفنوه بأقبيتهم تبركا به ثم لم يلبثوا ان وجدوه في الكهف على حاله، يحدث بذلك ثقات أهل النواحي، ويقال إنه من الحواريين ذكر محمد بن يوسف في كتابه أن هذا القتيل شق جبل بشرقي عين أوبان، وهذه العين عظيمة بين مدينة مرماجنة[1] وبين مدينة سبيبة، وذكر أنه نخيل لرائيه أنه كما ذبح

[1]مرماجنة: بالفتح ثم السكون، وبعد الألف جيم ونون مشددة، قرية بإفريقية لهوارة قبيلة من البربر، عن ابي الحسن، الخوارزمي، وقال المهلبي: بين مرماجنة والأربس مرحلة، انظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج5/ ص109.

من يومه وإنه هناك من قبل فتح إفريقية ولم يذكر أمر نقله ودفنه، وقد ذكر المسعودي رحمه الله هذا القتيل والله أعلم بحقيقة أمره"[1]

وابن حوقل هو من الموضحين لموقع مدينة بسكرة في العصر الوسيط كذلك" ...وعن يسار جبل أوراس: توجد مدن، بسكرة، تهودا، بادس، ويأخذ من القيروان طريق إلى جبل أوراس...."[2]

أيضا من الواصفين للمدينة أبو الفداء وهذا ما أورده حسب مصدره" وبسكرة، أهلها أخلاط والثمر بها كثير والفواكه كذلك وبينها وبين المسيلة مرحلتان ومن طبنة إلى بجاية ستة مراحل"[3]، والمقريزي" بسكرة: بلد بالمغرب بها سوق وعمارات"[4].

والوزان هو الاخر بيّن أن مدينة بسكرة من مدن إقليم الزاب" ويكون الزاب إقليما يضم خمس مدن، وهي بسكرة والبرج ونفطة وتلكة ودوسن، وفي بلاد الجريد حاليا نفس العدد من المدن"[5]

وأيضا من بين الذين زاروا المدينة الرحالة العياشي، الذي نسب هذه المدينة إلى سيدي عقبة بن عامر التابعي، وذكر ان المدينة تتميز بكثرة المساجد والمساكن،" .... أن هذه المدينة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرة مع توافر أسباب العمران فيها قد جمعت بين التل والصحراء، ذات نخيل كثير

---

[1] مجهول (عاش القرن 6هـ/12م): المصدر السابق، ص 173.

[2] أبي القاسم بن حوقل النصيبي: **صورة الأرض**، دار منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م، ص 68.

[3] عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء (ت832هـ): **تقويم البلدان**، تصحيح، البارون ماك كوكين ديسلان، دار صادر للطباعة والنشر، باريس المحروسة، 1890م، ص139.

[4] المقريزي: المصدر السابق، ص 68.

[5] الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي: **وصف إفريقيا**، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ج1/ ص 32.

وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد وماء جار في نواحيها، وأرحاء متعددة تطحن بالماء ومزارع إلى حناء إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول وكثرة اللحم والسمن في أسواقها، وبالجملة فما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها ولا أحصن ولا أجمع لأسباب المعاش"[5].

وقد وصف اليعقوبي، بلاد الزاب وذكر أن أعظم مدينة به هي مدينة طبنة، والزاب بلد واسع وذكر به مدن عديدة، ولم يذكر أن مدينة بسكرة من بين هذه المدن، ولا نعرف لماذا؟ ربما اعتبرها من مدن بلاد الجريد كما يعتقد بعضهم. كما وصف أن البلد به عمارة وأشجار وثمار وأيضا به الجبال والعيون. وذلك ينطبق على مدينة بسكرة من خلال ما ذكرناه في النصوص السابقة[6].

ومجمل القول، نستنتج أن جل الجغرافيين الذين وصف المدينة نقلوا ما جاء به البكري أولم يخرجوا عن نطاق كلامه. لكن بالرغم من ذلك تبين لنا أن المدينة توفرت بها معظم مميزات المدن الإسلامية في العصر الوسيط، وذلك ما أكدته النصوص السابقة، وقد توفرت بها أسباب العمران، كما حصنت بعدة من الحصون والقلاع وذلك ما جعل منها تحافظ على مكانتها العسكرية في وجه العديد من الأعداء. كما ساعدها أيضا موقعها وسط الزيبان، مما أعطى لها مناخ بين التل والصحراء، لتكون في فترات من الزمن ممر للطرقات التجارية من تهيرت الى بلاد السوان، وأيضا ساعدها لتكون قبلة لكثير من العلماء والفقهاء. وخير دليل العالم المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون الذي مكث بها لأكثر من ستة أعوام.

---

[5] عبد الله بن محمد العياشي: **الرحلة العياشية1661-1663م**، حققها وقدم لها، سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية،ط1، مجلد2/ صص539-540.

[6] أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي: **البلدان**، مطبع بريل، ليدن المحروسة، 1890م، ص 130.

كما تميزت باقتصاد لبأس، بحيث عرفت بوفرة نخيلها وجودت تمورها، والتي أصبحت في عصرنا هذا من أجود أنواع التمور في الجزائر (دقلة نور) وعرفت في العصر الوسيط تحت اسم بسكرة النخل (النخيل)، لكثرة الزيتون بها وأنواع الخضر والفواكه. إذن يمكن القول ان نعتبر مدينة بسكرة حاضرة من بين الحواضر الصحراوية في المغرب الإسلامي عامة وفي المغرب الأوسط بصفة خاصة.

2. بسكرة بين التأسيس والنشأة

1.2. تأسيسها:

ارتبط تاريخ مدينة بسكرة ارتباطا وثيقا بتاريخ (الزيبان)[1]، وجنوب الأوراس، حيث كانت دائما عاصمة الزيبان (les Zibans) وذلك لوقوعها وسط هذا الإقليم، وقد تأسست هذه المدينة منذ العهد الروماني، حيث كانت تعرف تحت اسم فيسكر أو سكرة وذلك حسب مصدر تسميتها[2].

إن الشواهد الأثرية المكتشفة، دلت على وجود الإنسان منذ الأزمنة الغابرة، وذلك لما وجد في منطقتي شتمه والقنطرة، كرؤوس سهام ومكاشط إلى جانب نقوشا صخرية بمنطقة رأس الميعاد ومنطقتي أمزيرعة ومشونش.[3]

---

[1] الزيبان: مفرده الزاب وهو إقليم يضم مدن كثيرة وأنظار واسعة، وذكر ان بها خمس مدن وهي: بسكرة، والبرج ونفطة، وتلكة، ودوسن. وقد شمل في القرون الأولى حتى سهول الحضنة والمدن الواقعة في سفوح الأطلس الجنوبية (المسيلة، مقرة وطبنة)، انظر، المجهول: المصدر السابق، ص 59.الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 32، انظر أيضا، أحمد طالب الابراهيمي: **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، القاهرة،1997م، ج4، ص 353.

[2] عبد الغني غانم: **مدينة بسكرة نموها وتهيئة مجالها الحضري**، حوليات وحدة البحث بإفريقيا العالم العربي، مجلة محكمة، دار الهدى، عيد مليلة، الجزائر، 1999م، مجلد3ص 24.

[3] عبد الحليم صيد: **معجم أعلام بسكرة**، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2014م، ص 18.

ومن هذا يتضح لنا أنه يمكن أن تاريخ بسكرة سبق الرومان بفترات بعيدة جدا، حيث كانت المدينة في العهد الروماني ملتقى للطرقات التي تؤدي إلى كل من تازولت وطبنه[1] وكانت تحمي المراكز العمرانية المحصنة المجاورة لوادي الجدي (حاليا). وقد اكتشفت آثار أخرى بدار المالية في سرير وادي بسكرة عن طريق شتمة، ومجرى الوادي، جزء من المدينة القديمة عبارة عن آثار الجدران في الأرض جنوب الواحة الحالية المعروفة بالمسيد.[2]

كما استوطن البربر من قبائل زناتة[3] المنطقة، حيث كانوا رحل، وأنصاف مقيمين يتنقلون بقطعان ماشيتهم في اتجاه الشمال نحو المراعي والسهوب لوجود الكلأ في فصل الصيف والخريف، ثم يعودون في فصل الشتاء، وذلك في منتصف القرن الثالث ميلادي، حيث كانت كل إفريقيا الشمالية خاضعة للإمبراطورية الرومانية، لتصبح فيما بعد حدودها في جنوب شرقي الجزائر وتمتد إلى وادي الجدي الذي يمر بمنطقة الزيبان، فكانت هذه الحدود محصنة بخط الليمس (Limes)،[4] فاعتمدت على تنظيمات عسكرية خاصة، ومراكز حربية معينة تمثلت في القلاع والأبراج للحراسة، وخنادق وبعض الآبار وشبكة معينة من الطرقات بالإضافة إلى المجاري المائية الطبيعية، كما عزز كل ذلك

---

[1] عبد الغني غانم: المقال نفسه، ص 24.

[2] محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص56.

[3] زناتة: من قبائل البتر البربرية، أصلها إلى جانة بن يحي بن صولان بن ورماك بن دره بن زميك بن مادغيس بن بر، وكانوا عدة، فروع منهم، بني عبد الواد بطن منهم، انظر، ابن حزم الاندلسي: **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1962م، ص495.

[4] خط الليمس (Limes): هو عبارة عن خط دفاعي لحماية الأراضي المحتلة من هجومات البربر المنطلقين من الجنوب نحو الشمال، سواء ثائرين أو مسالمين وهو من بين المؤسسات العسكرية الدفاعية التي أسسها الرومان في بلاد المغرب لغرض اقتصادي أكثر منه دفاعي، انظر، عبد العزيز شهبي: المقال السابق، ص 91، وانظر أيضا، محمد الصغير غانم، المرجع نفسه، ص56.

بحصون، حيث أصبحت منطقة بسكرة أهم هذه الحصون بالزيبان ومركزا هاما لها، فكانت خلال هذه الفترة معبرا كبيرا للبدو الرحل والرعاة، باعتبارها نقطة فاصلة بين التل والصحراء.[1]

وخلاصة كل ذلك ،أن بسكرة أيام ازدهار الديانة المسيحية اعتبرت مركز أسقفية نوميدية، حيث يذكر جاليست أن أسقفا كاثوليكيا من هذه المدينة حضر لمؤتمر قرطاج عام411ق م، ودفن في مدينة روما بمقبرة القديس كاليست، حيث وجدت كتابة تدل على أسقفية بمقاطعة نوميديا، لذلك إن اسم فيسكرا الدال على مدينة بسكرة في الكتابات اللاتينية، يتطابق شكلا مع اسم بسكرة الذي ظلت تحتفظ به هذه المنطقة منذ القديم ولوجود بقايا الفخار الروماني والحجارة المقطوعة وسيقان الأعمدة وتيجانها التي تعود حسب المؤرخين إلى القرن 3م، فيذكر أنها قد أخذت من مكان آخر، واستعملت في مباني مدينة بسكرة التي وجدت على الضفة اليمنى من الوادي.[2]

ومع دخول القرن السابع ميلادي، أي حوالي 27-627هـ/648-1230م، تمكن الفاتح عقبة ابن نافع القهري من فتح شمال إفريقيا، وكانت منطقة بسكرة من ضمنها، فاستطاع أن يطرد الحاميات الرومانية[3] لتصبح فيما بعد في ظل الحماديين عام 397-546هـ/1007-1152م مسيرة من طرف مجلس الشيوخ، حيث كانت تتصارع فيها الزعامة عائلتان وهما بني رمان وبني سندي[4].

---

[1] عبد العزيز شهبي: **بسكرة عاصمة الزيبان، نشأة المدينة وتطورها**، مديرية التراث الثقافي، الملتقى 4 للبحث الأثري والدراسات التاريخية، تندوف، 1996، ص91.

[2] المقال نفسه، ص 92.

[3] عبد الحليم صيد: المرجع السابق، ص 18.

[4] عبد الغني غانم: المقال السابق، ص 24.

ثم استولى عليها الهلاليون القبائل العربية الذين كـانوا يقطنون بالصعيد المصري، وذلك مع القـرن الحادي عشر ميلادي، فاستقروا بها واندمجوا مع السكان وقد أصبحت منطقة طبنة تابعة لبسكرة التي كانت في فترات سابقة عاصمة لبلاد الزاب كل وفي القرن الثاني عشر ميلادي استطاع الموحدون أن يوحدوا المغرب الإسلامي كله تحت لواء واحد، أثناء هذه الفترة استطاعت بسكرة أن تعيد نشاطها رغم الاضطرابات السياسية الواقعة على كل المغرب الإسلامي، ثم تناوب كل من الحفصيين والمرينيين في القرنين اللاحقين على حكمها[1].

2.2.العوامل المساعدة على نشأتها:

ورد في كتب التراث الإسلامي التي اهتمت بالعمران وأشكاله مفاهيم كثيرة، رأى علماء الأمة ضرورة الأخذ بها عند اختيار مواقع المدن وتخطيطها، فابن الربيع[2] حدد ستة شروط يجب مراعاتها في اختيار موضع المدينة وكان أهمها:

أ/سعة المياه المستعذبة:

فإذا طبقنا هذا الشرط على مدينة بسكرة، نجدها تمتاز بوفرة الماء الذي يمدها به وادي بسكـرة، ووديان أخرى عبر المجاري المائية أو الآبار، حيث تلبي حاجات سكانها، سواء للشرب أو لسقي المزارع الواسعة والكثيرة.[3]

---

[1]عبد الغني غانم، المقال السابق، ص 24.

[2]شهاب الدين احمد بن محمد ابن ابي الربيع: **سلوك المالك في تدبير المسالك**، دراسة وتحقيق ناجي التكريتي، منشورات عويدات، بيروت، ط1978،1. ص152.

[3]صالح يوسف بن قربة: **تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي**، دراسة تاريخية وأثرية، ط1، منشورات الحضارة، بئر توتة، الجزائر، 2009م، ص 16.

وذلك ما أكده معظم المؤرخين والرحالة الجغرافيين الذين زاروا بسكرة أو تحدثوا عنها[1]. وداخل مدينة بسكرة أبارا كثيرة عذبة[2].

فهذا الشرط أساسي في ازدهـار الحياة ورفاهيـة سكان المدينة، لأن توفـر الغذاء مطلب أساسي لنشأة واستمرار نموها. ومن هذه الناحية فإن المدينة تتوفر على محصول هائل من الثمار والحبوب التي تكفي لسد حاجات سكانها، فكان الأمراء من المنطقة يقومون بتخزين ما يزيد عن الحاجة تحسبا لنـشوب حروب أو وقوع حصار عليهم، لأن مهمة المنطقة هي توفير الحماية لها والدفاع عنها، وقد توفرت مدينة بسكرة على الكثير من الخزنات لكثرة مياهها.[3]

ب/ اعتدال المكان وجودة الهواء:

وهذا الشرط حدده ابن الربيع[4] لاختيار مواقع المدن: ويعرف هذا من خلال تأسيس المنطقة، أي المناخ الملائم للسكان والموقع في الحالات الصحية لهم وغيرها، وهو عامل ضروري في نشأة المدينة كما وضحنا سابقا أن بسكرة تتميز بمناخ شبه صحراوي وشبه قاري لانفتاحها على المؤثرات الجنوبية الحارة، فأغلب المدن المغربية نشأت في مناطق حارة إلا أنها تفادت ارتفاع الحرارة الشديدة والرياح السخنة.[5]

---

[1]أبو عبيد الكري: المصدر السابق، ص 51، وانظر أيضا، الحميري: المصدر السابق، ص 113، أيضا مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص 171.

[2]المصدر نفسه، ص 51.

[3]صالح يوسف بن قربة: المرجع السابق، ص 16.

[4]ابن الربيع: المصدر السابق، ص152.

[5]صالح يوسف بن قربة: المرجع نفسه، ص 18.

ت/ القرب من المرعى والاحتطاب:

وهذا ما فضله المؤرخ العظيم ابن خلدون في نشأة المدن، باعتبار أن أصل جلب مواقع المدن هو (جلب المنافع) ومن أصول جلب المنافع قرى المرعى لسائمه وطيبته، إذ لابد لسكان المدينة من دواجن الحيوانات لسد حاجاتهم من الألبان واللحوم والأصواف وللركوب حتى،[1] والمرعى القريب ضروري بما أن الإنسان يحتاج إلى الوقود من طهي للطعام واستعمالات حرفية أخرى. فوجود الغابات القريبة والمزارع والأشجار كان مصدرا يمده بكل ما يحتاجه من حطب وغيره في وقود النار، والخشب الذي يستعمل في مواد البناء أو الصناعة لبعض الأثاث المنزلية، وقد استفادت مدينة بسكرة من موقعها الاستراتيجي، حيث كانت جهاتها تتميز بطابع صحراوي بين التل والصحراء، فالمرعى قريب منها ومزارع الزيتون تحف بها. كما وجدت بعض الغابات في الجهات الجبلية المحيطة بسهولها.[2]

ث/ إمكانية الدفاع:

وهذا الشرط له خاصية عسكرية تمثلت في منطقة بسكرة في بناء الخزنات والأسوار والخنادق[3] التي تحميها من هجمات العدو وخاصة القبائل العربية (غزو بني هلال)، وقد ساعد على ذلك الموقع الهام الذي يتميز بالارتفاع وخاصة في الجهات الشمالية الموازية لوادي بسكرة.[4]

---

[1]عبد الرحمن بن خلدون: العبر: المصدر السابق، ج 1، ص 434.

[2]صالح يوسف بن قربة: المرجع السابق، ص 18.

[3]مارمول كربخال: **افريقيا**، ترجمة، محمد حجي وآخرون، دار النشر والمعرفة، الرباط، 1408-1409هـ/1988-1989م، ج3، ص 168.

[4]صالح يوسف بن قربة: المرجع نفسه، ص 18.

2/ أصل تسمية مدينة بسكرة:

تباينت آراء وأقوال المؤرخين والرحالة العرب والأوروبيين حول أصل تسمية مدينة بسكرة، وظلت محل خلاف بينهم، لتضارب المصادر التي تطرقوا لها، فمنهم من يرى أن اسمها ينحدر من كلمة فيسيرا أو فيسكيرا، وهي تسمية رومانية تعني المحطة أو المقر التجاري، وذلك لموقعها الاستراتيجي الذي أهلها لكي تكون منطقة عبور والتقاء بين الشمال والجنوب،[1]

بينما ذكر آخرون أن أصل كلمة بسكرة مشتقة من سكرة، وقد أطلق عليها هذا الاسم لحلاوة تمورها التي اشتهرت بها، وعذوبة مياهها التي تجري خلالها، في حين يعتقد آخرون أن التسمية الحقيقية لها هي أدبيسينام، التي هي كلمة رومانية وتعني المنبع نسبة إلى حمام الصالحين المعدني.[2]

أما ياقوت الحموي قد ورد في معجمه "بسكرة بكسر الكاف وراء بلدة بالمغرب من نواحي الزاب، بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، فيها نخل وشجر ونسب جيد، وبينها وبين طبنة مرحلة كذا ضبطها الحازمي وغيره، يقول بسكرة بفتح أوله وكافه.[3]

---

[1] فوزي مصمودي: المقال السابق، ص 07.

[2] المقال نفسه، ص، 08.

[3] ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1/ ص 422.

كما ذكر أيضا أنها "مدينة مسورة" ذات أسواق وحمامات وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة، وبها جبل ملح يقطع منه كالصخر الجليل، وتعرف ببسكرة النخيل قال أحمد بن محمد المزودي ثم أتى إلى بسكرة النخيل " قد اغتدى في زيه الجميل."[1]

بينما ذكر أبو عبيد البكري أن "بسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة وهي مدينة كبيرة كثيرة النخيل والزيتون وأصناف الثمار، وهي مدينة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة".[2]

وقد وصفها من حيث كامل الجوانب بما فيها الاقتصادية والعمرانية والحضارية، لكن عن أصل تسميتها فلم يذكر ذلك، وهذا يدل على أن في عصره كانت تعرف بهذا الاسم بسكرة، كما يصفها بأنها مدينة كبيرة وهذا يوضح لنا أنها مدينة قديمة عن عصره، أما الجغرافي والمؤرخ شارل تيسو (Tissot) حاول أن يجد تقاربا بين تسمية فيسيرا وأدبيسنام الذي يذكر أنه يبعد عن المدينة العربية الإسلامية بحوالي 6 كلم (بسكرة) وقد وجدت بالقرب من منبع هام يمثل حمام بقايا أثرية تتمثل في حجارة منحوتة وبعض الكسر الفخارية ويحد الموقع بالضبط مدينة على الضفة اليسرى لوادي بسكرة جنوب شرق المدينة الحالية.[3]

---

[1]ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 1/ ص 422.

[2]أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 52.

[3]محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص ص22-23.

كما أنه تحفظ فيما إذا كانت بسكرة أو فيسيرا قد أخذا تسميتها من بيسينام، "الاسم الذي عرف به منبع حمام الصالحين" إلا أنه لا يناقش أصل التسمية وحسب رأيه أن اسم بسكرة قد أخذ من اسم فيسيرا التي كانت توجد بها أسقفية تابعة للكنيسة المسيحية في نوميديا، كما أنها وردت إشارة تدل على تسمية فيسبيرا في كل من كتابات بيسكوراي وتولوت (Toulotte) وقصد بها بسكرة وقد بين أن فيسبيرا كانت خلال القرنين الرابع والخامس ميلاديين تضم بين أسوارها أسقفتين الواحدة منها كانت كاثوليكية والثانية دوناتية وقد شاركنا في المؤتمر الكنسي الذي عقد بقرطاجة (تونس) عام 411ق م، ومن جهة أخرى يذكر المؤرخ الإغريقي بلين في كتاباته أن مدينة فيسيرا انضمت إلى حكم الامبراطور أغسطس على يد قائده كورنيليوس فيما بين سنتي 19-20 ق.م.[1]

كما أن باحثا آخر أجنبي اسمه "راقوا" ذكر بعض الإشارة إلى وجود ضريحين أحدهما قريب من الضفة اليسرى لوادي بسكرة ولا يستبعد أن يكون رومانيا والثاني قريب من الضفة اليمنى وينتمي إلى الفترة الإسلامية العربية،[2] فهو من هذا يبين أن بسكرة ظهرت في عهد الرومان واسمها من ضريح.

(انظر الملحق رقم 07)

[1] محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص ص23-24.

[2] المرجع نفسه، ص ص26-27.

وقد ورد في كتاب حسن الوزان «أن بسكرة مدينة قديمة تأسست في العصر الذي كان فيه الرومان يحتلون بلاد البربر وبعدئذ تخربت وأعيد بناؤها في الزمن الذي دخلت فيه الجيوش الإسلامية إلى إفريقيا وتبدو اليوم آهلة تماما بالسكان»[1].

وعليه فإن مدينة بسكرة وجدت اسمها منذ فترة بعيدة، حيث ذكرت تحت اسم فيسكرا أو فيسيرا في عهد الرومان، والأرجح أنها كانت مركزا للقديس أوبطات في القرن 5 م، وقد نصب بها هذا القديس الذي أرسله الوندال إلى المنفى بمعارضته لسياستهم وسلوكهم.

وعلى العموم إن اسم مدينة بسكرة ظل يتغير من فترة إلى أخرى لذلك اختلف فيه المؤرخون فيما بعد، حيث نجد رواية أخرى تذكر أن اسم بسكرة نسبة إلى "وادي القدر" من طرف زعيم روحاني بتوليمه بن يوبا الثاني، ونسب هذا الواد إلى واد سيدي زرزور حاليا.[2]

كما ذكرت كتابات لاتينية أخرى أنها مشتقة من اسم فسكورة فهو في رأيهم يتطابق شكلا مع اسم بسكرة، وقد وجدت هذه المدينة قديما على الضفة اليسرى لوادي بسكرة.[3]

---

[1] حسن الوزان: المصدر السابق، ص ص439-440.

[2] سلسلة مدن جزائرية: المرجع السابق، ص06.

[3] مختار حساني: **إطلالة حول مراحل تاريخ بسكرة في فترة العصور الوسطى من خلال المصادر المخطوطة والمطبوعة**، تنسيق ربيعة العدوية حبة، الملتقى الوطني الأول لمنطقة الزيبان بسكرة، مطابع دار علي بن زيد للطباعة والنشر، إشراف المديرية الولائية للثقافة، بسكرة، ص 08.

II. بسكرة في العصر الإسلامي

1/ بسكرة أثناء الفتح الإسلامي

في القرن السابع ميلادي، وفي حدود سنة 27هـ/647م، انطلقت جحافل المسلمين من مصر لفتح بلاد المغرب الإسلامي، ولم يتمكنوا من ذلك إلا بعد مقاومات عنيفة من طرف السكان الأمازيغ الذين ظنوا أن المسلمين غزاة ومحتلون كالرومان والبيزنطيين، لذلك لم يتمكن المسلمون من الفتح والتمكين لدين الله إلا بعد عدة حملات قادها فاتحون أجلاء، أمثال عبد الله بن أبي سرح، معاوية بن حديج، عقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار، وكباقي المدن الجزائرية استطاع الفاتحون المسلمون فتح بسكرة وطرد الحاميات البيزنطية (الرومية) منها.[1]

وقد ابتدأت تلك الأحداث في منطقة الزاب بمعركة شهيرة، وهي تهودة (غزوة تهودة)، وقد كان عقبة بن نافه لما وصل بالقرب من مدينة (طبنة)،[2] والتي تعتبر من أمهات مدن الزاب، وثغور إفريقية، حينها أمر معظم جيشه بسرعة العودة إلى القيروان ثقة في نفسه وبما فتحه من بلاد، وبقي في مجموعة قليلة من الفرسان عول عليهم في تصفية بعض قلاع الروم في المنطقة ومنها حص تهودا، وبادس.

---

[1] فوزي مصمودي: المقال السابق، ص 10

[2] طبنة: بضم أوله ثم السكون، ونون مفتوحة، وطبنة بلدة في طرف إفريقية، مما يلي المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصير .... وسورها مبني بالطوب، وبها قصر وأرباض، وليس بين القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها، انظر، ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج4/ ص21.

"ولما وصل مشارف الحصون يذكر أنه لاحظ الروم قلة من معه احتمرت في عقولهم فكرة الإجهاز عليه[1].إنه في قتل هذا الخيل قتال أهل الأرض، وبادروا برميه بالحجارة وشتمه وإغلاق الحصون في وجهه وهو رابط الجأش يدعوهم للإسلام، كما راسلوا كسيلة الذي يغلب على الظن أنه ترك معسكر عقبة خفية ولم يعلم أمر الجيش الذي استهان به وحقر من شأنه، فلم يتوان على احتيال الفرصة الثأر لكرامته والنيل من عقبة جمع كبيرا من البرانس وحلفائهم الروم."[2]

كما أن البكري يصف عن ذلك " لما وصل عقبة إلى طبنة أدان سائر من بقي معه وبقي في عدة يسيرة وقال في طريقه أمر إلى مدينة تهوذة وإلى مدينة بادس أعرف ما يكفيهما من العدد والجيوش، وكان ذلك الوقت من أعظم مدائن المغرب فلما انتهى إلى مدينة تهوذة اعتمد كسيلة بن لمزم في جيوش الروم وأقبلت عليه سائر البربر فقد عملوا بافتراق عساكر عقبة وزحفوا إليه فقاتلوه حتى قتلوا جميعا".[3]

وقد ظهر اسم بسكرة في العهد الإسلامي مع الفتنة التي قام بها أهل الزيبان عام 251هـ/856م، في وجه الأمير أبي عبد الله محمد الأغلبي الملقب بأبي الغرانيق، وقد سلمت مدينة بسكرة دون أي مقاومة للقائد أبي خفاجة الذي أوفد للقضاء على هذه الفتنة.[4]

---

[1] مختار حساني: **اطلالة حول مراحل تاريخ بسكرة**، المقال السابق، ص 09.

[2] المقال نفسه، ص 09.

[3] أبو عبيدة البكري: المصدر السابق، ص49.

[4] مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن، المرجع السابق، ج3/ ص 06.

وبعد أن اكتمل الفتح لبلاد المغرب، واندمج السكان الأمازيغ بالعرب المسلمين، حدث ذلك في عهد حسان بن النعمان، دخلت في بسكرة مثلها مثل المدن والأمصار المغربية، تحت حكم الولاة التابعين مباشرة للدولة الأموية، ومن بعد الدولة العباسية، وبعد استقلال الأغالبة بتونس عن العباسيين عام 184هـ/800م، أصبحت بسكرة وما جاورها من قرى (الزاب)،[1] مقاطعة تابعة للدولة الأغلبية، وقد كان يحكم بسكرة آنذاك الأغلب بن سالم الذي كان يطلق على واحاتها اِسم اِفريقية.[2]

2/ بسكرة في عهد الأغالبة والفاطميين

1.2.في عهد الأغالبة:

لقد كان ظهور مدينة بسكرة لأول مرة في عهد الأمير أبي عبد الله محمد الأغلبي عند الفتنة التي قام بها أهل الزيبان عام 251هـ/865م، واستلمت له المدينة من دون مقاومة كما ذكرنا سابقا.[3] وكان الزاب لهذا العهد مركزا هاما تشع منه الثقافة العربية، وتعتبر طبنة واسطة له، حيث أنها تتوسط بين تاهرت والقيروان، وكان سكان الزاب يتعلمون بالزاب أساس الثقافة ثم يتوجهون للقيروان للزيادة في التعلم، ومنها للمشرق أحيانا ومن علماء الزاب إسحاق الملشوني المولود بملشون، والتي هي

---

[1]من بين القرى: ملشون أو ملسون، منها كان أبو عبيدة الله الملشوني وكان عالما فقيها، انظر، أبو عبيدة البكري، المصدر السابق، ص 52.

[2]فوزي مصمودي، المقال السابق، ص ص 10-11.

[3]مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن، ج3/ ص 06.

قرى من قرى بسكرة من القرب بتهوذة.[1]

ويذكر البكري "وبسكرة قرية تسمى ملشون ومنها عبد الله المشلوني"،[2] وقد حظيت الزاب في هذه الفترة بمساحة واسعة جدا في حدودها، حيث شملت مدن الشرق الجزائري كاملة، كما شملت بلاد الأوراس والنمامشة إلى غاية الشواطئ الشرقية كعنابة وسكيكدة وبجاية والقل، وامتدت من الجنوب حيث شملت بسكرة وتهودا وبادس.[3]

وأعدت مدينة طبنة من أعظم هذه المدن كلها، حيث كانت مقر العلماء وبها ينزل الولاة من الأغالبة وهم أخلاط من قريش وعرب وجند وعجم وأفارقة والروم والبربر وغيرهم.[4] وباعتبار أن بسكرة من حدودها أضحت هي الأخرى تزخر بالكثير من العلماء والفقهاء أمثال: أبو القاسم يوسف البسكري وعبد الله الملشوني وغيرهم. وذلك ما أكد الكثير من الجغرافيين، أن بلاد الزاب خلال حكم الأغالبة كانت تنعم بالاستقرار والدعة والإسلام، مما أسهم في نمو اقتصادي كثير، وأصبحت هذه الربوع منطقة رخاء وفضاء للعبور من الغرب إلى الشرق، ومن الشمال إلى الجنوب، كما تميزت برقي ثقافي وعلمي كبير جدا، فنبغ الكثير من العلماء والأعلام.[5]

---

[1] عثمان سعدي: **الجزائر في التاريخ**، طبعة 2012م، دار الأمة، الجزائر، 2012، ص312.

[2] أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 52.

[3] فوزي مصمودي: **الزاب المصطلح والدلالات**، المجلة الخلدونية، العدد 09، بسكرة، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص 112.

[4] اليعقوبي: المصدر السابق، ص141.

[5] عثمان الكعاك: **موجز التاريخ العام للجزائرمن العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**، تقديم، وترجمة، أبو القاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م،ط1، صص111-112

2.2. في عهد الفاطميين:

في عهد الدولة الفاطمية، لم تكن مدينة بسكرة تمثل أي مكانة تذكر، وهذا بسبب أنها كانت بعيدة عن الأحداث السياسية التي تعرضت لها بلاد المغرب الإسلامي، وخاصة فيما يتعلق بالصراع بين الامويين والفاطميين واستغلال قبائل المنطقة لخدمة أهدافهما، فاشتدت المنافسة بين تلك القبائل المتمثلة في زناتة وصنهاجة وكتامة ولم تمتد تلك الحروب إلى مدينة بسكرة، على الرغم من أن ثورة أبي يزيد مخلد بن (كيداد)،[1] انطلقت من جبل أوراس القريب من بسكرة، وفي تلك المدة يبدو أنها كانت تابعة لإمارة بني حمدون (بالمسيلة)،[2] ويبدو أنها في عهد الدولة الفاطمية كانت بسكرة تابعة لمنطقة المسيلة، التي كانت تحت إمارة عائلة أندلسية وهم بنو حمدون.[3]

وقد ذكر ابن عذارى بعد الأحداث التي عرفتها بسكرة خلال العهد الفاطمي "خروج المعز لدين الله من القيروان إلى الزاب عام 328هـ فقتل من البربر خلقا كبيرا".[4]

---

[1] عن ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، انظر ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة، ليفي بروفنسال وكولان، 1983م، دار الثقافة، بيروت، لبنان،1983م، ط3،ج1، ص 273.

[2] المسيلة: مدينة بالمغرب من نواحي الزاب، ويقال لها أيضا المحمدية اختصها محمد بن المهدي الملقب بالقائم في أيام أبيه، انظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 5/ ص64.

[3] مختار حساني: المقال السابق، ص 10.

[4] بن عذارى المراكشي: المصدر نفسه، ج1/ ص 275.

كما عهد المعز لدين الله النبش على قبر عقبة بن نافع "لما أراد معه بن اسماعيل تحريف القبلة بمسجد القيروان وكان ذلك من عام 345هـ/956مفذكر أن عقبة قد دعا على القيروان مما حال دون تمكنه من القيام بأي عمل اتجاه المحراب فأمر لعبد إليه، نبش قبر عقبة بن نافع وإحراق رمثه بالنار ..."[1]

وعلى كل فمدينة بسكرة خلال هذا العهد كانت تابعة لمدينة المسيلة وهذا لاعتبار أن المسيلة عهد الفاطميين هي عاصمة بلاد الزاب كله كما يصفها البكري "وهي مدينة جليلة على نهر يسمى بنهر سهر".[2]

كما أن بسكرة كانت لهذا العهد كثيرة الزروع، " أنها تقع في غابة كبيرة كثيرة مقدار ستة أميال، فيها أجناس من التمر منها جنس يعرف بالكسبا وهو الصيحاني يضرب به المثل لفضله على غيره وجنس آخر يعرف بالياوي أبيض أملس، وكان عبد الله الشيعي صاحب القيروان يأمر عماله بالمنع من بيعه ويبعث ما هناك منه إليه لطيبه وحسنه" [3]، وعلى العموم نستنتج أن بسكرة كانت لها أهمية اقتصادية وخاصة في المجالين الزراعي والتجاري. باعتبارها منطقة زراعية (زراعة النخيل والزيتون) ومنطقة عبور للقوافل محملة بالتمور من جهات أخرى كما يعتقد آخرون.[4]

---

[1] المراكشي: المصدر نفسه: ج1/ ص273.

[2]أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 239.

[3]الحميري: المصدر السابق، ص ص113-114، انظر أيضا، البكري: المصدر نفسه، ص 52، أيضا، ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج1، ص 422.

[4]هاينريش فون مالتسان: **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، ترجمة، أبو العيد دودو، مطبعة أحمد زبانة، الجزائر،1980م، ج3، ص 109.

3/ بسكرة في عهد الحماديين والحفصيين:

1.3. في عهد الحماديين:

في عهد بني حماد أصبحت المنطقة تابعة للدولة الحمادية تحت إمارة (بنو رمان)[1] العائلة الزناتية، وعلى ذكر الإدريسي في القرن 6هـ/12م في وصفه لمدينة بسكرة "أنها حصن منيع في كدية تراب عالي وبه سوق وعمارة، وفيه أيضا من الثمر كل غريبة وطريقة"[2].

وقد أشار بعض من المؤرخين،[3] أنه بعد المفاوضات التي جرت بين المعز وحماد، استغلها هذا الأخير بأجزاء كبيرة من المغرب الأوسط وبالكثير من مدنها كالمسيلة، طبنة، مقرة، آشير، (تيهرت)،[4] بسكرة، ليؤسس ثاني دولة مستقلة بالمغرب الأوسط (الجزائر).

وهي الدولة الحمادية (1007م-1152م) بعد الدولة الرستمية(158-295هـ/776-909م) متخذا من قلعة بني حماد عاصمة له، ومن هنا انتقلت عاصمة بلاد الزاب من المسيلة إلى القلعة التي بناها حمادبن زيري بن مناد الصنهاجي في حدود 370هـ/980م.

---

[1] بنو رمان: هم من أبناء جعفر بن رمان وقد حكموا بسكرة، تحت خضوعهم للأمير الناصر بن علناس، انظر قايد مولود: **البربر عبر التاريخ من الكاهنة الى العهد التركي**، منشورات ميموني، الجزائر، 2007م، ص67.

[2] الإدريسي: المصدر السابق، ج2/ ص 264.

[3]من بينهم، رشيد بوروبية: **الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977م، ص ص33، 34.

[4]تيهرت: اسمها تاهرت، وهي مدينة كبيرة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه وبها الاباضية وهم الغالبون عليها، ولهم تجارات وأسواق عامرة، انظر، محمد أبو إسحاق إبراهيم الاصطخري: **المسالك والممالك**، مطبع بريل، ليدن المحروسة، 1870م، ص20، أيضا، المقريزي: المصدر السابق، ص 66

وقد كانت بسكرة في ذلك الحين ضمن نفوذ الدولة الحمادية كما ذكرت سابقا، ولم تصبح بعد عاصمة لبلاد الزاب، فكان يتوارث على حكمها بني رمان، حتى قتل بلكين بن محمد فخرجت هذه الأسرة من بسكرة على عهد الناصر بن علناس وأعلنت عصيانها رفقة بعض القرى من بسكرة.[1]

وجهز لهم وزيره خلف بن أبي حيدرة في حملة عسكرية، فأحبط عصيانهم وقضى على تمردهم في مهده وأخمد الثورة بشكل نهائي عام 450هـ/1058م، وأخذ معه رؤساء بني رمان وشيوخهم فقام بصلبهم بالقلعة، ثم انتقلت رياسة بسكرة وما جاورها إلى أسرة جديدة هي أسرة عروس من (بني سندي).[2]

2.3.في عهد الحفصيين:

ذكر ابن خلدون وضعية المدينة في هذا العهد "بسكرة قاعدة وطن الزاب لهذا العهد وحده من لدن قصر الدوسن بالمغرب إلى قصور هولة وبادس في المشرق، يفصل بينه وبين البسيط الذي يسمونه الحضنة، جبل حاتم من المغرب إلى المشرق، ذو ثنايا تفضي إليه من تلك الحضنة وهو جبل درن المتصل من أقصى المغرب إلى قبلة برقة، ويعتمر بعض ذلك الجبل في محاذاة الزاب... وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعا جمعا، يعرف كل واحد منها بالزاب، وأولها زاب

[1] فوزي مصمودي: الزاب المصطلح والدلالات: المجلة السابقة، ص 114.

[2] بني سندي: هي قبيلة حكمت بسكرة أيام الدولة الحمادية،" وأصار الشورى بني سندي من أهلها وكان لعروس منهم بعد ذلك خلوص في الطاعة وانحياش الى الدولة"، انظر عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج6/ ص585.

الدوسن، ثم زاب طولقة ثم زاب مليلة، وزاب بسكرة وزاب تهوده وزاب بادس وبسكرة أم هذه القرى كلها".[1]

نستخلص من ذلك أن كلمة الزاب أو الزيبان في هذا العهد كانت تطلق على القرى والقصور التي تمتد من بسكرة إلى واد ريغ، كما أن ياقوت الحموي تطرق لوصف بسكرة من القرن 7 هـ/13م "أنها بلدة بالمغرب من نواحي الزاب فيها نخل وشجر ونسب جيد، وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة، وبها جيل يقطع منه كالصفر، وتعرف ببسكرة النخيل[2]، لكثرة نخلها وزروعها الأخرى.

أيضا ذكر ابن سعيد عن بسكرة " أنها مدينة وهي قاعدة بلاد الزاب وهي بلاد نخل وزرع ومنها كانت تجلب أصناف الثمار إلى حاضرتي تونس وبجاية".[3]

نجد ان أغلب المصادر التي تذكر أو تصف بسكرة لهذا العهد تنقل ما جاء يه البكري أو تستند عليه، أولا تخرج على إطار وصفه. وقد كان يحكم بسكرة في القرنين السابع والثامن هجريين(13-14م) حكام من بين مزني، شيوخ من أسرة عربية من قبيلة لطيف، قدموا إلى الزاب في غزوة بين هلال لبلاد المغرب واستقروا أول الأمر حول بسكرة، ثم دخلوا إليها وشقوا طريقهم إلى مجلس أعيانها بنو رمان

[1] عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج6/ص 585.

[2] ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج1/ص 422.

[3] ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 126.

ونافسوهم في ذلك، وانتهز هؤلاء المزنيون ما وقع من نزاع بين أمراء بني حفص وقضوا على منافسهم.[1]

تولى الخليفة الفاضل بن علي بن أحمد بن الحسني بن علي بن مزني على ولاية بسكرة وبلاد الزاب كله أيام الدولة الحفصية، وكان معه صاحب الأمير أبا إسحاق حيث خرج على أخيه محمد المنتصر ودخل بسكرة وبايعه الدواودة وعلى رأسهم يعقوب بن علي وأهل البلد جميعا وصاحب الفاضل بن علي إلى الأندلس والمغرب، وأجبر المنصور بن المزني بن زيان على بناء قصر وسور بسكرة[2].

الذي تحصن به ثم حاربهم بعد انتهاء البناء انتقاما لأخيه الفاضل الذي قتله بنو زيان، وكانت مصاهرة بين ملك المغرب المريني الذي تزوج بنت الأمير منصور بن الفضل المزني وكذلك تزوج الأمير منصور بأخت ملك المغرب بنت السلطان يحي من بني ملول، حيث خرجت بسكرة النخيل عن طاعة الدولة الحفصية التي كانت بتونس، ورجع الحكم إلى الدولة المرينية، ووقفت حروب بين دولة المرابطين وبين بني مزني، واستقلت بسكرة مدة من الزمن ورفضت دفع الضرائب والجباية إلى الملوك.[3]

---

[1] أحمد خمار: المرجع السابق، ص 08.

[2] روبار برنشفيك: **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، نقله إلى العربية، حمادي الساحلي، 1988م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م،ط1، ج1/ص 327.

[3] أحمد خمار: المرجع السابق، ص 08.

4/ إمارة بنو مزني ببسكرة:

بنو مزني من أشهر الأسر العربية التي انتقلت إلى افريقية، أحلافا لقبائل بني هلال في القرن 5هـ.وهم من مزنة بن دنفل بن محيا بن جزي بن علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة بن لطيف من عرب الأثبح، ويرجح ذلك الرأي أن معظم أهل الزاب من عرب الأثبح الذين عجزوا عن الترحال والطعن، فاستقروا بقرى الزاب وجاور أهلها من بربر زناتة، وبقايا عرب الفتح حيث اتخذوا الفلاحة حرفة لهم، ويزعم أن بنو مزني هم من عرب فزارة، وقد يرجع ذلك لما للغزارة من تاريخ حافل ووضع ممتاز بين القبائل العربية في الجاهلية والإسلام، غذ تميل بعض القبائل الغارمة أو المغمورة إلى الانتساب إلى أنساب مشهورة لشجاعة، أو كرم أو غير ذلك مما يرفع من شأنها بين القبائل المجاورة لها،[1] وعلى حد نص ابن خلدون بأنه "قد يتشوف كثير من الرؤساء على القبائل والعصائب إلى أنساب يلهجون بها أما خصوصية فضيلة كانت في أهل ذلك النسب من شجاعة أو كرم أو ذكر كيف اتفق فينزعون إلى ذلك النسب ويتورطون بالدعوى في شعوبه ولا يعلمون ما يرقعون فيه أنفسهم من القدح في رئاستهم والطعن في شرفهم".[2]

---

[1] أحمد عمر مصطفى أبو ضيف: **القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص 139

[2] عبد الرحمان بن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج1/ ص ص132-133

- **أصلهم ونسبهم:**

يبدو أن بني مزني انتسبوا إلى عرب فزارة لما انتهى إليه عرب الأثبج من الاستقرار بالزاب واحتراف الفلاحة والخضوع لما تفرضه أنهم في لطيف من الأثبج، ثم من بني جرى بن علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة بن لطيف واسم أبيهم "مزنة بن ديفل بن محيا بن مجرى".[1]

- **حدود دولتهم وإمارتهم**

قد عمل بنو مزني على اتساع إمارتهم، فأضافوا إلى إمارة الزاب من الشمال بلاد الحضنة المكونة من قرى مقرة ونقاوس والمسيلة ثم بلاد التل من أرض سدويكش وعياض ومن الشرق جبال أوراس ومن الجنوب قرى ريفية ووارکلي[2] المطلة على الصحراء، وقد كان هذا على عهد الحفصيين، عهد منصور بن فضل بن علي الذي ثار ببني رمان عام376هـ/996م.

وفي عهد الموحدين استقر بنو مزني بقرية حناس إحدى قرى بسكرة حيث تناسلوا وكثروا وشاركوا أهلها في مراعيهم ومصادر مياههم، ثم انتقلوا للاستقرار بالمدينة مع أهلها من بربر بني رمان حيث انضموا إلى مجلس الشورى بها.[3]

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج1/ ص585.

[2] عبد الرحمان بن خلدون، نفسه، ج06/ ص 406.

[3] مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2/ ص 291.

ظلت منطقة بسكرة محل خلاف بين الإمارتين بنو رمان وبنو مزني لوقت طويل، حتى استقل الأمير أبي زكرياء يحيى بن أبي إسحاق بإمارة بجاية وبونة وانقسمت الدولة الحفصية، حينها تمكن منصور بن فضل من الهروب إلى بجاية حيث عقد له أبو زكرياء يحيى على ولاية الزاب وبسكرة لعام 693هـ/1293م.وفي المقابل بنى بنو رمان قصرا وشيدوا سورا حول المدينة لتحصينها لكن لم يلبثوا طويلا حتى طردوا من المنطقة.[1]

وقد استفاد بنو مزني من توسعهم على مناطق الزاب، سواء في المجال الاقتصادي أو في السكان الذين ضمهم تحت لوائه وبخاصة منهم العلماء الذين كانت تضمهم حواضر هذه المناطق، وبخاصة منها مقرة والمسيلة، كما ساهموا في تنشيط الحركة العلمية بكامل مناطق الزاب وكان مكوث عبد الرحمان بن خلدون لأزيد من خمس سنوات ببسكرة كأحسن دليل على ذلك لهذه الفترة وقد ذكر ابن خلدون ذلك "ثم ارتحلت إلى بسكرة فأقمت بها عند أميرها أحمد بن يوسف بن مزني".[2]

5/ التركيبة السكانية لمنطقة بسكرة

كان من نتيجة الاحداث التاريخية التي مرت بها مدينة بسكرة ان تشكلت تركيبة سكانية مع العرب، فالمتأمل للخريطة التاريخية الخاصة ببلاد المغرب الإسلامي، يجد زخما من الأحداث التي شهدتها المنطقة لفترات زمنية متتالية، ولقد سكن المغرب منذ آلاف السنين من طرف أقوام كثر، ذكروا في المصادر القديمة وبأسماء عديدة (كالمور، البوار، النوميديون، الجيتوليون، الموزلامي ...) وذلك

[1] مبارك الميلي: المرجع السابق، ج2/ ص ص291-290.

[2] عبد الرحمان بن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6/ ص585.

لكون المنطقة جاذبة للاستعمار لأسباب مختلفة، فكل من يحل بالبلاد يعتبرها ولاية تابعة له، أو إرثا من حقه، أو جائزة نالها، وهذا ما يجعله – وحسب خلفيته – يسطر السياسات التي تتلاءم مع المنطقة.

فنتيجة لهذه السياسة، تم خلق تركيبة اجتماعية مختلطة تألفت من عناصر ثلاث رئيسية هي: سكان البلاد الأصليون وأهلها – العنصر الوافد – أي كان أصله، والنتاج الهجين للتمازج الذي حدث بين الفئتين الأولى والثانية.[1]

وهذا هو حال كل مدن المغرب الإسلامي بصفة عامة ومدن المغرب الأوسط بصفة خاصة، وقد اختلفت وتعددت الروايات حول أصل وجود سكان المغرب لأن زمنهم يعود إلى أحقاب غابرة.[2]

---

[1] صورية مديازة: **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية انتقال الفاطميين إلى مصر 21 – 362هـ/642–972م**، مذكرة ماجيستير، تخصص التاريخ الإسلامي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم التاريخ والآثار، إشراف د/مسعود مزهودي، 1431هـ/2010م، ص 11.

– موسى رحماني: **الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر 27 – 362 هـ/637 – 972م**، مذكرة ماجيستير، تخصص تاريخ المجتمع المغاربي، قسم التاريخ والآثار إشراف د/بوبة مجاني، جامعة منتوري قسنطينة، 1428هـ/ ص125.

[2] عبد الرحمان بن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج07/ ص09.

1.5. البربر

اختلف المؤرخون العرب في أصل تسمية البربر حيث نسبهم البعض إلى جدهم الأول "برّ"،[1] فحين ينسبهم ابن خلدون إلى افريقش الذي قال عندما سمعهم يتحدثون ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر،[2] والأرجح آن البربر سكنوا المنطقة منذ زمن طويل أن أصولهم متباينة.[3]

أما ابن حوقل فيصفهم " وأكثر البربر المغرب الذين من سلجماسة إلى السوس وأغمات وفاس إلى نواحي تيهرت، وإلى تنس والمسيلة وبسكرة وطبنة .... وميلة وسطيف يضيفون المارة ويطعمون الطعام".[4]

من ذلك نستنتج أن القبائل البربرية سكنت منطقة بسكرة منذ العصور القديمة من فروع قبائل زناتة، وقد وصفوا بأنهم رحل وأنصاف رحل مقيمين ينتقلون بقطعانهم في اتجاه الشمال نحو مراعي السهوب لوجود الكلأ في فصل الصيف والخريف ثم يعودون في فصل الشتاء،[5] ومن المعلوم أن السكان الأصليين بافريقية هم البربر،[6] أو كما يسميهم المؤرخون، الأمازيغ وقد توزعوا على كل مناطق المغرب. لكن كان توزيعهم غير ثابت نظرا لغلبة البداوة على البتر منهم خاصة، وأيضا

---

(1) محمد الهادي حارش: **التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، وحدة بن بولعيد، 1989-1990، ص25.

(2) عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج03/ ص87.

(3) عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1986م، ط5، ج1/ ص 43.

(4) بن حوقل: المصدر السابق، ص 91.

(5) مختار حساني: **إطلالة حول مراحل تاريخ بسكرة**، المقال السابق، ص15.

(6) شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 07.

بالإضافة إلى الثورات المختلفة التي قاموا بها ضد المستعمرين وعملائهم من بني جلدتهم، وقد تغير تموضعهم في المنطقة باستقرار الفتح الإسلامي في البلاد وانتقال بعض القبائل مع الفاتحين مثلما وقع للبربر الذين انتقلوا إلى فتح الأندلس، وقد كانوا أولفا مؤلفة استقروا هناك وانخرطوا في سلك الحياة الأندلسية، لكن الغالب أن القبائل الزناتية تواجدوا بالجزائر على غرار المغرب الإسلامي، تونس، ليبيا والمغرب، وكانت غلبة القبائل جراوة [1]، في مدن الزاب وهو قبيلة من البربر البتر.[2]

2.5. العرب

دخل هذا العنصر مع مطلع الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب، في صورة جيوش فاتحة للبلاد وقد استقر رجال هذه الجيوش في نواحي المغرب كله بعد إتمام الفتح، ولحقت بهم جماعات أخرى من الجند والمهاجرين والعرب مع استمرار لحركة الفتح الإسلامي، وكانت نتيجة ذلك قيام مجتمعات عربية صغيرة معظمهم في المدن والمعسكرات، ومن هذه المراكز بدأوا ينتشرون في نواحي البلاد وقد لحقت بهم مجموعات أخرى سميت بالعرب البلديين أي عرب إفريقية الذين انقسموا إلى فرعين، قسم أول وهم أغلبية القبائل العربية من أعقاب العرب الفاتحين للمغرب استوطنوا هذه البلاد وأصبحوا بمرور الزمن عرب أفارقة أو عرب بلديين كما ذكرنا سابقا، بما فيهم الجماعات العربية التي وفدت من بلاد المشرق أي العنصر الأموي والعباسي، وذلك لطلب الرزق، فاستقروا وأصبحوا من أهل البلاد.

---

[1] المرجع نفسه: ص 07.

[2] عز الدين بالطيب العقبي: **من أعلام المنطقة بسكرة في القرون الثلاثة الهجرية الأولى، 27 – 300هـ/648–914م**، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2014م، ط1، ص ص 23-24.

أما الفريق الثاني فهم العرب الوافدين على المغرب كجنود صحبة الولاة الجدد الذين بعث بهم الخلفاء العباسيون فاستقروا في البلاد كطبقة مميزة من الجند.[1]

وقد استقرت أخلاط يمنية ومضرية في طرابلس وقابس والقيروان وبلاد الزاب، مثل طبنة وما حولها – أي مدن الزاب – وقد تكون من بينهم مدينة بسكرة.[2]

أما عن أصل هؤلاء العرب وعلى اختلاف شعوبهم وقبائلهم فمنهم ينسبون الى ولد سام بن نوح عليه السلام إن صحت الرواية،[3] ولعل أبرز القبائل العربية التي استقرت بمنطقة بسكرة هم "الضحاك" الذي عجزوا عن مقاومة الدواودة ففضلوا الاستقرار ببلاد الزاب وخاصة مدنه وكانوا لا يزالون بتلك الناحية حتى عهد ابن خلدون وحتى العمور الذي استقروا ما بين جبل الأوراس شرقا إلى جبل بن راشد غربا، وأولاد ماضي الذين تمركزوا هم الآخرون بالمنطقة المحصورة ما بين سفوح جبل أوراس المطل على بسكرة، كما تعد من أبرز القبائل الهلالية التي استقرت ببسكرة وضواحيها أسرة بني مزني الذين نزلوا في البداية بقرية من قراها.[4]

3.5.المولدون:

يعتبر المولدون العنصر الثالث الذي سكن المنطقة والذين هم خليط من البربر والبيزنطيين، بحيث يعتقد بعض الباحثين أن هناك تصاهر بين جنود البيزنطيين والعائلات البربرية، وقد حدث كذلك بين

---

(1) مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص ص 47-48.

(2) المرجع نفسه، ص 48.

(3) محمد سليمان الطيب: **موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية**، جمع وتنسيق لفليطي عبد الحميد، دار الفكر العربي، مكتبة نبراس الصفا التاريخية، مدينة نصر، 1418هـ/1997م، ط2، مج1، ج1/ ص28.

(4)) مختار حساني: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن**، المرجع السابق، ص ص 8-9.

العرب والبربر بعد الفتوحات الإسلامية في النواحي المجاورة بالمنطقة،[1] وبذلك ظهر هذا العنصر الجديد الذي يشمل هؤلاء المولدون كما يسميهم البكري " ... سكانها المولدون".[2]

[1] مختار حساني: **إطلالة حول مراحل تاريخ بسكرة**، المقال السابق، ص 16.

[2] عبد الرحمان بن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 7/ ص 09.

الفصـــل الثانـــي

المظاهـر الحضارية لمدينة بسكـرة

I. الأوضاع الاقتصادية

1- أهمية الموقع الجغرافي والتضاريس لمدن الزاب

2- النشاطات الاقتصادية

II. الحركة العلمية في مدينة بسكرة.

1- عوامل ازدهار الحركة العلمية بالمدينة.

2- أصناف العلوم وعلماؤها ببسكرة.

3- العلماء الوافدون.

I. الأوضاع الاقتصادية

1/ أهمية الموقع الجغرافي والتضاريسي لمدن الزاب

تحتل مدن الزاب موقعا هاما نظرا لوجودها في ملتقى الطرق التجارية وذلك ما جعل منها إحدى المحطات الرئيسية للقوافل التجارية الرابطة بين شمال وشرق الصحراء وحتى جنوبها أي بلاد السودان، إضافة إلى الطريق الرابط بين هذه المناطق والمناطق الشمالية – مدن شمال المغرب الأوسط–، ومن ثم بلاد أوروبا الواقعة على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، فنتيجة ذلك كله، أصبحت ممرا لابد من اجتيازه من أجل التنقل في هذه الاتجاهات المختلفة، كما أن ساكني هذه المنطقة استغلوا الفرصة وأقاموا الأسواق، فاستفاد التجار المارين من هناك بما تواجد في هذه المنطقة من منتجات زراعية وصناعية.[1]

وذلك ما أكده لنا صاحب كتاب الاستبصار، حيث ذكر عن مدينة بادس "وبالقرب منها قيطون بياضة ... ومنه تفترق الطرق إلى بلاد السودان، وإلى القيروان وإلى بلاد الجريد وطرابلس وغيرها، وقيطون بياضة قرية كبيرة كثيرة النخل فيها تجتمع الرفاق ومنها نخرج إلى جميع البلاد، وهي آخر بلاد الزاب".[2]

---

[1] عبد القادر بوباية: **الحركة العلمية في منطقة الزاب على عهد بني مزني**، المجلة الخلدونية، الملتقى الوطني السابع (بسكرة عبر التاريخ) دولة بني مزني، العدد 09جانفي2011م/محرم، 1432هـ، بسكرة الجزائر، 2000م، ص 88.

[2] مجهول: المصدر السابق، ص 175.

2/ النشاطات الاقتصادية

1.2.في مجال الزراعة وتربية المواشي:

شهدت مدن الزاب حركة نشيطة في المجال الاقتصادي خلال العصر الوسيط وذلك ما ميزها ازدهار الزراعة وخاصة زراعة النخيل وأشجار الزيتون التي كانت تعتبر النشاط الرئيسي لسكان المنطقة، وذلك ما أكده ابن سعيد المغربي "بسكرة بلاد نخل وزرع"[1] والإدريسي هو الآخر يصف لنا مدينة بسكرة "ومن مدينة نقاوس إلى حصن بسكرة مرحلتان، وهو حصن منيع في كدية تراب عال وبه سوق وعمار، وبه أيضا من التمر كل غريبة وطريفة".[2]

كما أن حسن الوزان ذكر "ولكن حدائق النخل بها لا تحصى –بسكرة–ويشمل الإقليم خمس مدن وعددا كبيرا من القرى"،[3] بينما يذكر الحموي "وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات وتعرف ببسكرة النخيل".[4] والمقديسي هو الآخر ذكرفي وصفه عن المدينة، "وبسكرة بلدان النخيل والأنهار".[5]

---

[1] ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 126.

[2] الشريف الإدريسي: المصدر السابق، ج2، ص 264.

[3] الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص138.

[4] ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1/ ص 422.

[5] المقديسي: المصدر السابق، ص 230.

كما أضاف صاحب الاستبصار "أن بسكرة لها غابة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وجميع الثمار وسميت ببسكرة النخيل لكثرته بها".[1] فمن خلال ما أورده الجغرافيون أن مدينة بسكرة مدينة زراعية بامتياز، ويميزها زراعة النخيل والزيتون بصفة عامة. لذلك صنفتهم كما يلي، حسب الأهمية الاقتصادية.

أ/زراعة النخيل:

اهتم سكان بلاد المغرب الأوسط بزراعة النخيل، وذلك لأهمية إنتاجه للتمر، باعتباره الطعام الذي يبقى لأيام طويلة، حتى أنها تفوق السنة أو أكثر، وتظهر قيمته حينما تنعدم الخضر والفواكه، كما أنه يعتبر زاد المسافر، فكانت بسكرة من أشهر مواطن زراعة النخيل بالمغرب الأوسط، لذا سميت عند البعض ببلاد النخيل.[2]

إذ تميز تمرها عن غيره، "أن أكثر ثمارها الجنس المعروف بالكسبا، وهو المعروف ببلاد المشرق بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره بالسيماني، وببسكرة أيضا من التمر ما يعرف بالليلاري وهو أبيض أملس، وكان صاحب القيروان يأمر عماله بالمنع من بيعه وبعث ما هناك منه إليه لطيبه وحسنه".[3] وبالغ البعض من المؤرخين لوصف هذه الأرض بأنها تنتج إلا التمر وربما لذلك سميت بسكرة الخيل (النخل).[4] وهذا يبين لنا أن المنطقة تميزت بكثرة الثمار، ومن المؤكد أنها تحتوي على مزروعات أخرى من فصيلة النخيل.

---

[1] مجهول: المصدر السابق، ص 173.

[2] جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجريين (9-10)**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، ص ص47-48.

[3] المقديسي: المصدر السابق، ص 230.

[4] أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 52، أنظر أيضا، مجهول: المصدر السابق، ص ص174-175.

ب/زراعة أشجار الزيتون:

اهتم سكان مدينة بسكرة بالبساتين، فغرسوا أنواع الخضر والفواكه، وبين هذه الأشجار المثمرة، شجرة الزيتون المباركة التي ذكرها الله في كتابه لقوله تعالى" من شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور" [1]

كما ورد في نص البكري "مدينة بسكرة كثيرة النخيل والزيتون"،[2] فعرفت بزراعة أشجار الزيتون وذلك من طبيعة المنطقة التي يميزها الموقع الجغرافي المميز والمناخ شبه حار، وكان الزيتون يستغل بطريقة بسيطة ومزال بعضهم يتبعها حتى وقتنا الحاضر، حيث تهرس منه الحبوب بواسطة عجلة يديرها حيوان ثم يمر الزيتون المهروس إلى المعصرة وتقوم الطريقة الثانية على غلي الزيتون ثم عجنه ليترك في أحواض فيطفو الزيت، ومردود هذه الطريقة أقل إلا أن زيتها أجود.[3]

كما أن المنطقة عرفت مزروعات أخرى وذلك من خلال وصف أبو الفداء "بسكرة ذات نخيل وزرع كثيرة،[4]"وقد تكون هذه المزروعات تتمثل في زراعة الحبوب والفواكه والخضروات التي تتأقلم مع مناخ الجو شبه الصحراوي (شبه الجاف)، لأن كل أنواع المزروعات ترتبط ارتباطا وثيقا بالظروف المناخية وبكمية الأمطار المتوقعة ومدة الموسم الزراعي.[5]

---

[1] الاية، 35، سورة النور.

[2] أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 52.

[3] جودت عبد الكري يوسف: المرجع السابق، ص 47.

[4] عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء (ت732هـ): **تقويم البلدان**، تصحيح، البارون ماك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت،1980م، ص139.

[5]أطلس العالم الكبير: **مغامرات مشوقة في الجغرافيا**، مكتبة الصغار، وزارة الاقتصاد والتجارة، بيروت، لبنان، 15أفريل1999، ص 181.

وقد وصف الكعاك مناطق الزاب أيام العهد الأغلبي حيث ذكر أنه كان يتمتع بسلام نسبي، والسلام هذا مدعاة للأمن على النفس والمال وباعث على العمل، لذلك كانت الحالة الاقتصادية في نمو ورقي زائد، فكانت الفلاحة منتشرة انتشارا لا مزيد عليه بالفحوص والسهول، وكانت البساتين تحيط بالمدن على مسافة أميال منها فالبلاد في خصب شامل ونعمة عميمة.[1]

ت/تربية المواشي:

إن تربية المواشي ببلاد المغرب الأوسط تقوم جنبا إلى جنب الزراعة، فالمحصول الزراعي مقرون بالمنتوج الحيواني، فهو من أنشطته واهتماماته، وكانت أرض المنطقة مرفقا لمختلف الحيوانات، وخاصة الأغنام والأبقار والخيل، فالمنطقة المحصورة ما بين جبل السرسو ومنطقة الزاب مراعي، وخاصة عهد الدولة الزيانية، حيث عرفت ثروة حيوانية كبيرة في اقتصادها وذلك من خلال إنتاج اللحوم ومن الصناعة بالصوف واستخدمت في المجال العسكري، حيث استخدمت الخيول في الحروب.[2]وباعتبار أن منطقة بسكرة احتوت على أجود أنواع التمور ذلك ما ميزها أن تكون مرتعا لأجود سلالة من الأغنام في الجزائر، وخاصة منها سلالة الإبل.[3]

---

[1] عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 112.

[2] مصطفى علوي: **الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة، ما بين القرنين السابع والتاسع هجريين/ الثالث عشر والخامس عشر ميلاديين**، دورية كان التاريخية، العدد 14، ديسمبر 2014، ص 87.

[3] محمد العربي حرز الله: **منطقة الزاب مائة عام من المقاومة (1830-1930م)**، دار السبيل، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008م، ص 23.

2.2.في مجال الصناعة:

وجدت المواد الخام بمدن المغرب الأوسط، فاشتهرت كل مدينة بإنتاج نباتي وحيواني، وقامت صناعة واسعة في هذين المجالين، فاعتمدت كل مدينة على انتاجها، كما وجدت بعض المعادن التي سمحت بقيام صناعة معدنية، وكانت كل مدينة وما ينتج منها فاستخرج الحديد في كل من مجانة[1] وبجاية وبونة،[2] واستخرج الملح من مدينة بسكرة "وبالقرب من بسكرة جبل ملح يقطع فيه الملح كالصخر الجليل ومنه كان عبيد الله المهدي وبنوه يستعملون في أطعمتهم".[3]

تشابهت أنواع المنتوجات الصناعية بين أنحاء المغرب الإسلامي، لأنها قامت بشكل أساسي على الإنتاج الفلاحي والحيواني، فهي تشمل معالجة الحبوب بالطحن والعجن، مما ينبني عليها من صناعات، وتشمل الصناعات النسيجية الصوفية في الأعم والصناعات الجلدية إلى مشتقات الألبان وهي أمور متوفرة بل تفيض عن الحاجة في كل شبر من البلاد.[4]

وقد راجت صناعة الزجاج والخزف رواجا كبيرا في بلاد الزاب كله، وقد كان التجار يتجهزون بالمصنوعات من مراسي الزاب، فتخترق السفن البحرية في القريب وفي البعيد وكانت تدخل بالأنهار وتسير بها حتى يذكر أنهم ساروا بقسمطنية.[5]

---

[1] مجانة: بلدة بافريقية، فتحها بسر بن أرطاة، تسمى قلعة بسر وبها زعفران كثير ومعادن حديد وفضة، بينها وبين القيروان خمس مراحل، أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 56.

[2] جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص 84.

[3] أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 52.

[4] جودت عبد الكريم يوسف: المرجع نفسه، ص ص 86-87.

[5] عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 112.

ومن هذا نستنتج أن صناعاتهم كانت تصدر حتى الخارج فيما وراء البحار،[1] لأن مدن افريقية عرفت ازدهارا صناعيا في العصور الوسطى وخاصة الزراعات الصناعية، كالقطن الذي توفر بكثرة في المسيلة والصناعات النسيجية تطورت واكتسبت شهرة في الأسواق، كالقيروان وصفاقس وغيرها.[2]

3.2.في مجال التجارة:

تعتبر التجارة من النشاطات الاقتصادية المهمة بالقرون الوسطى وذلك لما كانت تذره من أرباح توفرت عليها مناطق بلاد المغرب الأوسط من مواد ضرورية، ولم يكن إقليم الزاب بمعزل عن هذا النشاط، حيث يذكر ابن خلدون عن تلك الأهمية "...اِعلم أن التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع الرخص وبيعها بالغلاء، أياما كانت الساعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر النامي يسمى ربحا".[3]

تميزت مدينة بسكرة بموقع جغرافيا هاما، وذلك لوقوعها بين التل والصحراء فجعل منها تربط بين عدة مدن بالطرق التجارية، الطريق المار بمدينة ورجلان ويربط بلاد السودان، فهناك يتم التبادل التجاري وكان هذا يحدث خاصة أيام الدولة الرستمية وازدهارها حيث يتم تبادل السلع باعتبار أن بسكرة ليست بعيدة عن جاو، فتبلغ سبعا وستين مرحلة فقط. إذ تميزت بسكرة أنها تربطها عدة طرق بالمراكز

---

[1] عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 112.

[2] جورج مارسيه: **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، نشاة المعارف بالأسكندرية، 1991م، ص 207.

[3] عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 494.

التجارية وتربط بينها وبين ورجلان ثمان مراحل،[1] فيوجد طريق من نقاوس إلى باديس مرورا ببسكرة.[2] وهذا يعتبر الطريق الأول.

أيضا أن بسكرة وجدت على طريق آخر يربط تاهرت بالقيروان عبر مدينة ورجلان، وقد كان المسافر يخرج من تاهرت بالقيروان عبر مدينة ورجلان، وكان المسافر يخرج من تاهرت إلى ورجلان ومنها إلى بسكرة ثم إلى القيروان، وهو الطريق الذي سلكه الإمام يعقوب الرستمي عند مغادرته تاهرت فارا أمام أبو عبيد الله الشيعي، وكان هذا الطريق حافلا بالمتاعب والمصاعب، إلا أنه الطريق السريع لقلة التوقف فيه وقلة العراقيل.[3]

كما أن مدينة بسكرة كانت بحكم موقعها بعيدة عن إمارات المغرب ودوله التي تفرض على القوافل ضرائب مختلفة ومتفاوتة، إلا أن النتائج الإيجابية لدخول الإسلام إلى بلاد افريقية والمغرب الإسلامي كله، ذلك ما حدث من توسيع لشبكة الاتصالات الإنسانية والاقتصادية داخل القارة السمراء، فأتيحت بفضل ذلك لبقية العام شرقا وغربا فرصة الاستفادة منها وتنمية ثروته وموارده، وهذا الموقع الذي يظهر لنا في العصر الراهن شيء عادي ومكسب سهل، حيث لا يتطلب منا مشقة ولا جهدا.[4]

وقد كانت بسكرة همزة وصل بين المغرب الأدنى والسودان الغربي. وتميزت المنطقة بعامل الجفاف الذي يسود المنطقة في فصل الشتاء، الأمر الذي يتيح القيام برحلات تجارية على مدار السنة. وعلى كل

---

[1] جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص ص211-212.

[2] رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1397هـ/1977م، ص 144.

[3] جودت عبد الكريم يوسف: المرجع نفسه، ص 207.

[4] محمد زنيبر: **المغرب في العصر الوسيط، الدولة – المدنية – الاقتصاد**، تنسيق، محمد المغراوي، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات كلية الآداب بالرباط، الدار البيضاء، 1420هـ/1999م، ط1، ص395.

حال فإن الطريق الذي يربط بلاد المغرب الأوسط بمدينة فاس يمتد إلى بلاد الأندلس، فكان المسافر يخرج من فاس إلى مدينة سبتة مسيرة ستة أيام، ثم إلى طنجة ومنها تعبر المراكب إلى الأندلس وتمر بمضيق جبل طارق البالغ عرضه اثني عشر ميلا.[1]

ولا يمكن دراسة التجارة لأي منطقة دون الوقوف عند اهم التبادلات التجارية، فتعتبر مدينة بسكرة من بين الأسواق الكبرى في العصر الوسيط، لأنها تربط بلاد السودان الغربي ببقية الواحات الصحراوية بشبكة من الطرقات التجارية – كما ذكرنا سابقا –،و من خلال ما ذكره ابن خلدون عند زيارته لإمارة بني مزني في بسكرة أن القوافل التجارية تربط القاهرة (مصر) بتوات وتمر بالقرب من بسكرة أما المدن الداخلية فكانت قسنطينة، بجاية، المسيلة وقلعة بني حماد.[2]

وجاء في وصف ابن سعيد عن بسكرة "... وهي بلاد نخل وزرع ومنها تجلب أصناف التمر إلى حاضرتي تونس وبجاية".[3] أما الإدريسي فذكر "بسكرة سوق وعمارة".[4]

[1] جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص 207.

[2] مختار حساني: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، المرجع السابق، ج2/ ص 19.

[3] ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص ص32-33.

[4] الإدريسي: المصدر السابق، ص 66.

ومن أهم المواد التجارية التي كانت متوفرة بالمدينة هي:

أ/ **الملح**: لقد كان في العصور الوسطى بمنطقة بسكرة جبل من الملح وكانت تجارته رائجة في العصور الوسطى،[1] حيث ذكر البكري "... وبها جبل فيه الملح كالصخر الجليل ومنها كان يستعمل في طعاما خلفاء الدولة الفاطمية".[2]

ب/ **التمر**: توفر إنتاج التمور بكثرة في منطقة بسكرة، وذلك من مميزات الإقليم الصحراوي، الذي يميزه الجفاف، وباعتبار أن التمر يتحمل حر الصحراء وجفافها فيمد ساكنها بالغداء، إذ أن التمر يحتوي على المواد السكرية التي تسد الرمق، وتقدم غداء كافيا كما تقدم أيضا الظل، لذا تعهدها الإنسان، وخاصة إنسان الصحاري، فعمل على حمايتها، وبما أن شجرة النخيل تحتاج إلى مدة حتى تعطي المحصول إلا أنه يمكن إقامة زراعات ثانوية بالقرب منها كالخضر، والحمضيات. [3]

وبناء على ما ذكره الكثير من المؤرخين ان المنطقة تكثر بها الأسواق[4] وذلك ما يؤكد لنا الكلام السابق أنها تعددت بها المنتوجات الزراعية، وهو الآخر العياشي يصف مدينة بسكرة في قرون متأخرة "وبسكرة سوق شتى أنواع الفواكه والخضر والبقول وكثرة اللحوم والسمن فيه".[5]

---

[1] مختار حساني: **إطلالة حول مراحل تاريخ بسكرة في فترة العصور الوسطى**، المقال السابق، ص 20.

[2] أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 52، **أنظر** الحميري، المصدر السابق، ص 114.

[3] كمال موريس شربل: **الموسوعة الجغرافية للوطن العربي**، دار الجيل، بيروت، 1419هـ -1998م، ط1 ص 130.

[4] ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج 1/ ص 422.

[5] أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي: المصدر السابق، مج2، ص540.

ولعل من أبرز الفواكه التي تحتاج إلى مناخ الصحراء، فاكهة العنب، التي تستطيع أن تتأقلم مع الحرارة في فصل الصيف وتتحمل حتى الجفاف، وبرودة الشتاء والأمطار، لذلك تنتشر زراعته في دول البحر الأبيض المتوسط.[1]

خلال ذلك كله نستنتج أن مدينة بسكرة توفرت بها معظم المنتوجات الزراعية كالفواكه والثمار، فمنها ما كان يصدر إلى الخارج (تونس) وبجاية بالجوار، ولطيبته حتى أن كل عشر تمرات ببسكرة بيعت في أسواق تنبكت بخمس ودعات، وكانت تصدر إلى بلاد السودان لأنها خالية من التمر إلا ما يأتيها من بلاد الزاب عن طريق تجار ورجلان[2]، (انظر الملحق رقم 06)

[1] كمال موريس شربل: المرجع السابق، ص 392.

[2] العياشي: المصدر السابق، مج2 / ص 540.

II. الحركة العلمية في مدينة بسكرة

1/ عوامل ازدهار الحركة العلمية بالمدينة

شهدت منطقة الزاب على العموم في العصر الإسلامي، وخاصة الفترة الممتدة من (678-804هـ/ 1279-1401م) في عهد دخول الهجرات العربية عهد بني مزني حركة علمية واسعة ساعد عليها العديد من العوامل، وأبرزها تشجيع الحكام للعلماء وتحفيزهم على العطاء العلمي، إضافة إلى موقعها الجغرافي الذي جعلها همزة وصل بين الشمال والجنوب، وبين المشرق والمغرب، كما تعتبر في الوقت ذاته إحدى المحطات البارزة في طريق القوافل التجارية وركب للحجيج، ومن ثم فهي نقطة التقاء أعلام دار الإسلام، والذي –لاشك فيه- ساهم في تكوين نخبة علمية في هذه المنطقة، وبالتالي ساهم في تنشيط الحركة العلمية بالمنطقة عامة وبمدينة بسكرة بصفة خاصة.[1]

2.1. العامل الاقتصادي:

ازدهرت الحركة الاقتصادية بمنطقة الزاب، فشهد حركة نشيطة في المجال الاقتصادي، وميزها ازدهار الزراعة، وبخاصة زراعة النخيل التي كانت تعتبر النشاط الرئيسي لسكان المنطقة، وذلك ما يؤكده لنا ابن سعيد المغربي حيث يذكر عن بسكرة "وهي بلاد نخل وزروع".[2]

ومما زاد في ذلك أيضا الموقع الجغرافي الهام نظرا لوجودها في ملتقى الطرق التجارية كما ذكرنا سابقا، أيضا كانت تربط مدن المغرب الأوسط بالمدن الخارجية، بالإضافة إلى عملية الأسواق التي كانت تقام

---

[1] عبد القادر بوباية: المرجع السابق، ص 87.

[2] ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 126.

بالمنطقة وبيع المحاصيل الزراعية والمنتوجات الصناعية.[1] وذلك ما أكده لنا نص الإدريسي حيث يذكر "ومن مدينة نقاوس إلى حصن بسكرة مرحلتان، وهو حصن منيع في كدية تراب عال، وبه سوق وعمارة، وبه أيضا من التمر كل غريبة وطريفة".[2] فهذا النص يبين لنا أهمية المدينة الاقتصادية، بالإضافة إلى نصوص أخرى، من بينها نص الوزان، هو الأخر يصف المدينة "ولكن حدائق النخل بها لا تحصى، ويشمل الإقليم خمس مدن وعددا كثيرا من القرى".[3]في حين نجد أيضا أن ياقوت الحموي يذكر عن بسكرة "وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات ...، وتعرف ببسكرة النخيل"[4].

كما يورد صاحب الاستبصار الذي كان بقيد الحياة خلال القرن السادس هجري/12م، نفس الوصف حيث يذكر أن بسكرة "مدينة كبيرة ولها غابة كثيرة النخل والزيتون وجميع الثمار"، "وعرفت ببسكرة النخل لكثرته بها".[5]

إضافة إلى ذلك أن مدينة بسكرة كانت سوقا تجارية يقصدها التجار من كل مكان –أنحاء العالم الإسلامي–نظرا لموقعها كما ذكرنا، بينما أكد لنا ابن سعيد ان بسكرة كانت تصدر أنواع التمور إلى مدينتي بجاية وتونس.[6]

---

[1]عبد القادر بوباية: المرجع السابق، ص 88.

[2]الإدريسي: المصدر السابق، ص 264.

[3]الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2/ ص 138.

[4]ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1/ ص 422.

[5]مجهول: المصدر السابق، ص 126.

[6] ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 126

إذن، من ذلك نستنتج أن المنطقة تنوعت بها المنتجات الفلاحية بعض الشيء، أي هي ليست مقتصرة على نوع معين من مختلف الحبوب والخضر والفواكه المتنوعة وهو ما يعبر عنه البكري" ...، وهي مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار"[1]

2.2. تشجيع الحكام للعلماء:

عرفت هذه الميزة في مدينة بسكرة على عهد بني مزني، حيث عرفت المنطقة توسعا في الحدود ، وبخاصة في عهد منصور بن فضل بن علي الذي ثار ببني رمان سنة ثلاث وتسعين وستمائة "فأجلاهم عن البلد واستمكن فيه، ورسخت قدم إماراته فيها، واستدر جباية السلطان، واتسع له نطاق العمالة، فاستضاف إلى عمل الزاب والمسيلة فعقد له السلطان على جميعها"[2]ونتيجة لذلك كله وفر أموال الدولة- أي يني مزني- لغرض سياسيا، لكن مهما يكن السبب إلا أن الحكام قد استغلوا الرخاء الاقتصادي الذي عرفته إمارتهم من أجل تشجيع العلماء على الاستقرار بإقليمهم وتحفيزهم على بذل الجهد من أجل نشر العلم والمعرفة في صفوف أهل هذه البلاد، وهو الأمر الذي سيكون له بالغ الأثر في تنشيط الحركة العلمية، وهذا عبد الرحمان بن خلدون الذي مكث حوالي خمس سنوات ببسكرة أحسن مثال على ذلك، ومن المؤكد أنه قد استفاد كثيرا من هذا التوسع سواء في المجال الاقتصادي أو من حيث عدد السكان الذين ضمهم تحت لوائه، وبخاصة منهم العلماء الذين كانت تضمهم حواضر هذه

(1) أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص52

(2) عبد الرحمان بن خلدون: التعريف بابن خلدون رحلته غربا وشرقا، عارض أصوله وعلق على حواشيه محمد بن تاويت الطنجي، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص134.

المناطق، وبخاصة منها مقرة والمسيلة، ومما لا شك فيه أن علماءها قد ساهموا في تنشيط الحركة العلمية بمنطقة الزاب كله.[1]

3.2. الاستفادة من أعلام بلاد المغرب الاسلامي:

كانت منطقة الزاب ثرية اقتصاديا، وتحتل موقعا متميزا جعلها إحدى المحطات الرئيسية للقوافل التجارية، لذلك قصدها الكثير من الناس، وبخاصة منهم علماء المغرب والمشرق، فساهم هؤلاء من خلال تواجدهم بها في تنشط الحركة العلمية،[2] ومن أبرزهم العلامة الشهير عبد الرحمان بن خلدون الذي أقام فيها، وقد أورد في الجزء الأخير من كتابه العبر، الكثير من النصوص التي تثبت وجوده بعاصمة الزاب مدينة بسكرة خلال مدة طويلة، ومن ذلك ذكره "وسافرت إلى قفصة وأقمت بها أياما ...".[3]

كما أضاف أيضا "فدخل إلينا محمد بن مزني ذاهبا إلى الزاب فرافقته إلى بسكرة، ودخلت إلى أخيه هنالك". وهذا يعتبر اتصال أولي بين ابن خلدون ويوسف بن مزني أمير الزاب، وهو بداية الصداقة التي ستجمعهما، وستدوم قرابة الستة أعوام تقريبا، وذلك عندما ذكر ابن خلدون في موضع آخر "ثم ارتحلت من أحياء يعقوب بن علي –شيخ العرب– وقصدت بسكرة لصحابة بيني وبين شيخها أحمد بن يوسف بن مزني وبين أبيه"، وذكر أيضا أنه أقام ببسكرة عند منزل أميرها أحمد بن يوسف بن مزني، وقد كان

[1] عبد القادر بوباية: المقال السابق، ص ص89-90.

[2] المقال نفسه، ص 90.

[3] المقال نفسه، ص90.

مكوثه لمدة طويلة من الزمن، وقد وصف بسكرة حينها "ثم اتصل مقامي ببسكرة والمغرب الأوسط، مضطرب بالفتنة المائعة من الاتصال بالسلطان عبد العزيز وحمزة بن علي بن راشد ببلاد مغراوة.[1]

ولهذا فإن مكوث العلامة عبد الرحمان بن خلدون لهذه المدة الزمنية في المنطقة[2] قد ساهم في تنشيط الحركة العلمية بهذه الحاضرة من خلال الدروس التي كان يلقيها في المساجد، ونتيجة كل ذلك تكوين عدد من التلاميذ الذين سيكون لهم شرف حمل لواء العلم في إقليم الزاب.[3]

2/ أصناف العلوم وعلمائها ببسكرة

قسم العلماء المسلمون في العصور الوسطى العلوم إلى فرعين كبيرين هما، العلوم النقلية والعلوم العقلية. وقد اشتملت مجموعة العلوم النقلية على علوم الدين وعلوم اللغة العربية، بينما اشتملت مجموع العلوم العقلية على ما لم يدخل في حيز النقل من معارف، كالفلسفة والرياضيات والكيمياء والفلك.[4]

وقد تميزت الدول التي ظهرت في ذلك العصر، على أنها ركزت كثيرا على العلوم النقلية في الحياة الفكرية والعلمية، وانفردت بالخصوص في مجال العلوم الدينية، وذلك لظهور الفرق الإسلامية والمذاهب الدينية وتفرعها، فنجد أن جل علماء بسكرة الذين ظهروا في هذا العصر، شد تخصصهم بالعلوم القرآنية

(1)مغراوة: هم قبائل من أنجاد مديونة وملوية، أنظر عبد الرحمان بن خلدون: العبر، المصدر نفسه، ج7/ص48.

(2)عبد القادر بوباية: المرجع السابق، ص90.

(3)المقال نفسه، ص90.

(4)المقال نفسه، ص90.

واللغة والتفسير، وهذا ما سنتعرض له في دراستنا من ذكر للعلماء الذين شد رحالهم إلى بلاد المشرق وبلاد الاندلس، يتنقلون بحثا عن العلوم الدينية وعلوم أخرى.[1]

وقد تميز علماء العصر الوسيط بميزات أخرى أهمها:

- أن كل عالم تجتمع فيه عدة علوم ومناصب فقد يكون فقيها، طبيبا أو مفسرا، أو يجمع بين كل العلوم النقلية أو العقلية إلى غير ذلك وقد كان دور علماء بسكرة بارزا كثيرا في ذلك، عرفت منطقة بسكرة منذ القديم علماء كثيرين، فمنذ القرن الأول هجري/ السابع الميلادي، منهم من كان مقتدرا عليها، ومنهم من كان من نشأتها، ولعل ان العلوم الشرعية بدأت مع الفاتحين البارزين، عقبة بن نافع الفهري، الذي ولد بمكة وشارك في فتح مصر، وكان له فضل الأخذ عن كبار الصحابة والتابعين الأجلاء، وقد هيأ له القدر فرصة للأخذ والعطاء في ميدان العلم والدعوة، خاصة عندما عزل عن ولاية افريقية، ولقد عاد عقبة بن نافع إلى إفريقية واليا وفاتحا وداعيا، فدعا أهلها إلى الإسلام وترك لهم من يعلمهم ويدعوهم إلى الإسلام، كما انه قام قبل ذلك بنسخ مصحف كامل لأهل هذه البلاد، وبقي دهرا طويلا ثم أهدي إلى الحرمين الشريفين.[2]

وقد كتب الله له أن يبقى ضريحه افتخارا بالمنطقة – بسكرة – عبر التاريخ.

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون: العبر، المرجع السابق، ج 1، ص 392

[2] عز الدين بالطيب العقبي، المرجع السابق، ص 66.

ولقد جمع القدر لهذا العالم في حسن الخاتمة، حيث استشهد في معركة شريفة–معركة تهودة –[1]وكان فخرا لمنطقة بسكرة أن تتجلى بعلماء يذكرهم التاريخ ومن أهمهم:

2.1. أبو عبد الله الملك الملشوني:

أ/ اسمه وكنيته:

لم يتفق من ترجم له في تسميته حتى أنهم اختلفوا فيما بينهم، ونجد أن المالكي والحموي وأبو العرب والطلمنكي أجمعوا على أن كنيته – أبو عبد المالك الملشوني–[2]بينما البكري والزبيدي فكنوه بأبي عبد الله دون ذكر لاسمه أيضا.[3]

أما صاحب الاستبصار فقد كناه بأبي عبيد الله، ولم يذكر له اسما[4] ولكن النويهض والجيلالي اتفقوا على أنه يكنى بأبو عبد الله عبد الملك الملوشي.[5] ومن خلال ما سبق نستنتج أن العالم له كنيتان (أبو عبد الله – أبو عبد الملك).

---

[1]المرجع نفسه، ص 66، انظر أيضا: أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1286هـ، ص27.

[2]أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (ق5هـ/11م): **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وسيرمن أخبارهم وفضائلهم وأصافهم**، تح بشير بكوش، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1414هـ/1994م، ج1/ ص 09، 401، أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 114، ياقوت الحميري، المصدر السابق، ج 5/ ص 192.

[3]أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 52.

[4]مجهول: المصدر السابق، ص 178.

[5]عبد الرحمان الجيلالي المرجع السابق، ج1/ ص 278.

ب/ نسبه:

نسب إلى قرية ملشون[1]من قرى بسكري فلقب بالملشوني، أما عن نسبه فالغالب انه أعجمي وذلك نظرا لحداثة تواجد العرب بالمنطقة فأهلها في بداية الأمر كانوا في الغالب من البربر الأمازيغ، وكذلك لقول الطلمنكي عن ملشون "وملشو قرية العجم بتهوذة".[2]

ج/ مكانته العلمية ومؤلفاته:

كان أبو عبد الملك الملشوني وابنه إسحاق عالمين مشهورين في تاريخ الأقدمين وقصص النبيين، لذلك ذكر عنهما البكري "أبو عبد الله الملشوني وابنه إسحاق عالما أن يحمل عنهما العلم"[3]وقد ورد عن الحميري "أبو عبد الملك كان فقيها عالما يحمل عنه العلم".[4]

كما أورد أيضا صاحب رياض النفوس "كان أبو عبد الملك الملشوني صاحب أخبار ومفاز"،[5] كما أضاف أيضا "وله كتاب كبير في أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم والبدييء"[6]. وتصل أخبار عن كتابه هذا إلا ماجاءت فيما روي عن ابنه إسحاق من بعض النصوص التي كتبها.[7]

---

[1]ملشون: من قرى بسكرة قرية ملشون، منها أبو عبد الله الملشوني، انظر أيضا، أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 52، وأيضا، الحميري: المصدر السابق، ص 114.

[2]عز الدين بالطيب العقبي: المرجع السابق، ص ص110-111.

[3] المرجع انفسه، ص 112، انظر أيضا، البكري: المصدر السابق، ص 52.

[4]الحميري: المصدر السابق، ص 114.

[5]المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص 401.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص 401.

[7]عز الدين بالطيب العقبي: المرجع نفسه، ص 112.

ويعتبر هذا الكتاب الذي ألفه من أصول ومصادر من جاء بعده من العلماء والمؤرخين مثل عيسى المهاجري (ت250هـ/864م) ومحمد بن سحنون (ت 256هـ869م) وغيره، ثم جاء من بعدهم مشاهير المؤرخين مثل الرفيق القيرواني (ت 425هـ/1033م).[1]

2.2. أبو القاسم يوسف البسكري:

يعتبر من بين العلماء الذين نسبوا لمنطقة الزاب، والذي ولد في بسكرة سنة 403هـ/1012م وتلقى فيها علومه، وقد اشتهر بالتخصص في علوم اللغة والقراءات حتى استدعاه الوزير والعالم المشهور نظام الملك وزير السلطان السلجوقي إلى العراق عام 458هـ/1065مللإستفادة من علمه، ثم صدر قرار بتعيينه أستاذا بمدرسة نيسابور والذي بقي بها حتى وافته المنية عام 465 هـ/1072م.[2]

أ/ أصله ونسبه:

هو العلامة الإمام الرحالة المقرئ الشيخ أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن عقيل[3]بن سوادة بن مكناس بن وبليس بن هديد بن جمع بن حيان بن مستملح بن عكرمة بن خالد، وهو ابو ذؤيب الهذلي بن خويلد البسكري.[4]

---

[1] عز الدين بالطيب العقبي: المرجع السابق، ص 113.

[2]عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج1/ ص391. انظر أيضا، رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وحضارته، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2000م، ط3، ص268.

[3]المرجع نفسه، ج1/ ص392.

[4]ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج1/ ص 422.

ولد سنة 403هـ،/1012م،[1]في مدينة بسكرة حيث نشأ وتربى.[2]

ب/ رحلته العلمية:

رحل الشيخ لطلب العلم عام 425هـ/1033م فطاف بلاد الشرق والغرب فقرأ عن مشائخ بأصبهان، منهم الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ثم دخل بغداد فقرأ بها على القاضي أبي العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي.[3]ثم ورد نيسابور عام 458هـ/1065م، وهناك حضر دروس أبو القاسم القشيري التي كانت عن الأصول وأبي بكر بن منصور وغيرهم.[4]

ج/ مشائخه:

تتلمذ الشيخ أبو القاسم في بلاد المشرق على يد الشيوخ بأصفهان الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (الأصبهاني) وغيره من العلماء المشهورين، وقد وصفه ابن الجزري في نيسابور قائلا "فلا أعلم أحد في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته" وقد لقى من لقى من الشيوخ في عهده".[5]

---

[1]عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج1/ ص393.

[2]صالح بن نبيلي فركوس: **تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي الى غاية الاستقلال (814ق م / 1962م)**، طبعة، 2013م، دار أيدكوم، دون بلد، ص125.

[3]ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج1/ ص 422.

[4]المصدر نفسه، مج1/ ص 422.

[5]عبد الرحمان الجيلالي: المرجع نفسه، ج1/ ص 391.

وقال عنه الشيوخ الأمير بن ماكولا، كان أبو القاسم البكري يدرّس علم النحو ويفهم الكلام، وكان مقدما في علوم اللغة وعلم القراءات وله ترجيحات واختبارات وآراء فيها خاصة، ويبدو أن الإسلام القشيري راجعه في مسائل النحو والقراءات واستفاد منه.[1]

وقد ذاع ذكر الشيخ على الأفواه وقرع صيته الأسماع فاستدعاه الوزير الألمعي نظام الملك السلجوقي عام 458هـ/1065م إلى الإقراء بمدرسة نيسابور ورسمه أستاذا فيها ومكث بها الشيخ ناشرا لعلمه.[2]ولقد ترك الشيخ مؤلفات كثيرة من ورائه فألف العديد من المصنفات وكان له كتاب في القراءات، وقد صنفه خمسين قراءة بألفين ومائتين وتسعين طريقا.[3]

"وقد جعل من هذا الكتاب جامعا للطرق المتلوة والقراءات المعروفة ونسخت به مصنفاته ككتاب الوجيز وكتاب الهادي، بحيث علق عليه ابن الجزري على هذا الكلام بقوله كذا ترى همم السادات في الطلب".[4]

[1] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج1/ ص392، أنظر أيضا، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1/ ص 422.
[2] الجيلالي: المرجع نفسه، ج1/ ص393.
[3] المرجع نفسه، ج1/ ص392.
[4] ياقوت الحموي: المصدر نفسه، مج1/ ص 281.

2.3. العالم ابن مزني:

أ/ مولده ونسبه:

العالم ابن مزني المقرئ المؤرخ أبو زيان ناصر بن مزني البسكري، ولد في بسكرة بشهر محرم 718هـ/1318م، نشأ في بيت علم وإمارة وأخذ العلم في بسكرة وتونس عن الإمام ابن عرفة والإمام عبد الرحمان التوزري، وابن فارس عبد العزيز بن يحي الفسّاني الربجي ومحمد بن علي بن ابراهيم الخطيب، وعيسى بن أحمد الغبريني.[1]

ب/ رحلته العلمية:

رحل إلى مصر عام 803هـ/1400م فالتقى بابن خلدون الذي نزل ببسكرة عند ابن مزني ومكث بها ثماني سنوات وقدم إليه أخوه بعد ذلك من تلمسان حيث كان وزيرا لدى الزيانيين.[2]

ج/ أعماله ومؤلفاته:

وقد أكرم ابن مزني العلامة ابن خلدون وأسكنه بخانقاه ومدرسة الشيخونية، ولازم هناك ابن حجر – أي ابن المزني – وعكف علة وضع كتابه الكبير للرواة، ولم يكمله، وقال ابن حجر إنه لو أتمه مكان مائة مجلد، أصيب في آخر عمره ببصره وتوفي سنة 823هـ/1420م.[3]

---

[1] أحمد خمار: المرجع السابق، ص 41.

[2] المرجع نفسه، ص 41.

[3] المرجع نفسه، ص 41.

3/ العلمـــاء الوافــدون

1.3.عبد الرحمان بن خلدون:

يعتبر العلامة عبد الرحمان بن خلدون من أبرز العلماء الذين زاروا مدينة بسكرة، واستقر بها لمدة زمنية تنيف على الستة أعوام أي من سنة 769 إلى 774هـ/1367-1372م، فكانت بسكرة حينها على عهد أمراء بني مزني الذين ساد عهدهم الأمن والاستقرار للمنطقة. وقد استفادت من تلك الظروف التي وفرها له الحكام والرعاية المادية والمعنوية التي حظي بها من أجل مواصلة عطائه العلمي حيث استغل الوقت الذي مكثه في عاصمة الزاب، من أجل المطالعة والتدريس، وقد كان السلطان أبو حمو بعد اعتلائه سدة الحكم بقدومه إليه – أي ابن خلدون – تولية لمنصب الحجابة الذي هو بمكانه – أبو حمو – ويذكر ابن خلدون في ذلك " وكان أخي يحيى ... قدم على بسكرة ... فبعثه إلى السلطان أبي حمو كالنائب عني في الوظيفة... وبعثت لهمة على المطالعة والتدريس".[1]

من هذا يتبين لنا أن ابن خلدون كان له نشاط علمي بارز في هذه المنطقة فطال مكوثه ببسكرة حيث يذكر "وبلغني في تلك الأيام وأنا ببسكرة مقر الوزير ابن الخطيب من الأندلس، وقدومه على السلطان بتلمسان حيث توجس الخيفة من سلطانه بما كان له من الاستبداد عليه، وكثرة السعاية من البطانة فيه "وكان ذلك حوالي عام 772هـ/1370م، ولم يغادر ابن خلدون بسكرة إلا بعد استدعائه من قبل سلطان المغرب المريني[2]

[1] عبد القادر بوباية: المقال السابق، ص 92.

[2] عبد الرحمان بن خلدون: رحلته، المصدر السابق، ص ص135-136.

وذلك ما أكده في نصه "وارتحلت من بسكرة بالأهل والولد في يوم المولد الكريم عام أربع وسبعين وسبعمائة متوجها إلى السلطان"،[1] وقد استفاد منه الكثير من الأهل في المنطقة.

2.3.أبو علي الفزاري:

هو ناصر بن أحمد بن يوسف بن منصور بن فضل بن علي بن أحمد بن حسن بن عبد المعطي بن الحسين بن علي بن المزني، أبو زيان، ويقال له أبو علي الفزاري البسكري المعروف بابن مزني بفتح الميم ثم زاي ساكنة بعدها نون.[2]

أ/ مولده وأصله:

ولد أبو علي الفزاري البسكري في محرم من عام إحدى وثمانين وسبعمائة (أفريل1379م)، ينتمي إلى أسرة كريمة هي منتهى رئاسة الزاب ومعقد آماله، إذا كانت إمارة بسكرة وأرض الحضنة بيدها منذ تولاها جده الفضل بن علي.[3]

ب/ أعماله:

اشتغل ابن مزني بالعلم أولا ببلده، فأخذ القراءات عن أبي الحسن علي بن عبد الرحمان التوزري، وكان يعظمه كثيرا في هذا الفن وأخذ الفقه عن أبي فارس عبد العزيز يحي عبد الله بن عرفة وعيسى بن أحمد

(1) عبد الرحمان بن خلدون: رحلته، المصدر السابق، ص 136.

(2) عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج2/ ص93.

(3) المرجع نفسه، ص 93.

الغبريني، وسمع عليه الصحيح، وقدم القاهرة عام ثلاث وثمانمائة (1400م) فحج فيها، وأصيب في كثير من ماله وكتبه في جملة ما وقع في ركب المغاربة من النهب.[1]

واتفق أن نكبت أسرته في هذا العام أيضا ببسكرة، فعزل والده عن الإمارة، ونزل السلطان الحفصي ببسكرة فحطم بيت بني مزني، وقد بلغ ابنه ذلك فأقام بالقاهرة، وكان بها يومئذ صديق آبائه العلامة عبد الرحمان بن خلدون، فعطف عليه وسعى له لدى من بيده الأمر.[2]

وقد لازم الشيخ ابن حجر العسقلاني مدة طويلة، وقد ذكر عن ابن حجر العسقلاني في معجمه، استفدت منه، وكتب لي ترجمة مطولة فيها "اتصلت بخدمة سيدنا فلان فآنس الغربة وآنس الكربة وأحسن المعونة وكفى المؤونة، وعمني خيره وبره ووسعني حلمه وصبره[3] ، كما ذكر أنه كان لهجا بالتاريخ وأخبار الرواة، جماعة لذلك ضابط له مكثر منه.[4]

3.3.الفقيه أحمد بن محمد بن أحمد:

إن هذا العالم البسكري لم يحظ بترجمة وافية، وكل ما عرف عنه، الذي أورده لنا السخاوي حيث يذكر "كان حيا خلال القرن التاسع هجري (الخامس عشر ميلادي)".[5]

---

[1] شمس الدين بن محمد بن عبد الرحمان السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992م، ط1، ج10/ ص 195.

[2] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج2/ ص 93.

[3] السخاوي: المصدر السابق، ج 10/ ص 195.

[4] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع نفسه، ج 2/ ص 93، انظر أيضا، عبد القادر بوباية، المقال السابق، ص 94.

[5] السخاوي: المصدر السابق، ج2/ ص95.

أ/ أعماله:

اشتغل بعلم الحديث ببلده ثم ارتحل إلى المشرق، واستقر بالمدينة المنورة، وفي هذه الأخيرة أخذ عن السخاوي صاحب الضوء اللامع أثناء مجاورته بالمدينة.[1] ولم تذكر عنه المصادر والمراجع الكثير، إلا انه عرف بالبسكري، أي زار بسكرة من خلال استنتاجاتي، ولقد أنتج لنا هؤلاء العلماء علماء أجلاء كانوا فخرا ومفخرة للمنطقة فيما بعد.

4.3.عبد الرحمان بن حيوة:

أ/ أصله ونسبه:

هو عبد الرحمان بن حيوة بن ذي العرف الحضري من أهل حمص، والظاهر أنه قدم إلى بلاد إفريقية فاستوطن قرية قرطة،[2] التي كانت من القرى التابعة لبسكرة بعد بروزها وانتقال الزعامة إليها،[3] والغالب أنه عالم جاء لنشر العلم بين الناس، وقد كانوا حديثي عهد بالإسلام، وكونه حضرميا يعني أنه من حضرموت – من بلاد اليمن – انتقل منها وأهله إلى حمص ويكون أهله قد جاؤوا مددا للمسلمين. ولعله أن يكون من أحفاد أوائل بن حجر الذي كان ملكا عظيما بحضر موت، فلما سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم أتاه راغبا، وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم قائلا " هذا وائل بن حجر أتاكم من

(1) السخاوي: المصدر السابق، ج2/ص 95.

(2) قرطة: قسنطينة حاليا، انظر، محمد طمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، سلسلة الدراسات الكبرى، الجزائر، 2005م، ص198.

(3) أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 72.

أرض بعيدة من حضر موت طافا غير مكره، راغبا في الله وفي رسوله وفي دينه بقية أبناء الملوك، اللهم بارك في وائل وفي ولده، وقد كان له ابنان علقمة وعبد الجبار وكان له منهم أحفاد".[1]

بينما تذكر بعض الروايات انه من ذرية الصحابي ربيعة بن عيدان بن ذي العرف بن وائل بن ذي طواف الحضرمي، قال ابن يونس: من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد فتح مص، وقد وجد في بلدة قرطة مسجد قديم مهدم يدعوه العامة (مسجد سيدي عبد الرحمان).[2]

كما وجد بخرائبه قطعة من سارية حجرية كتب عليها بعد الصلاة والسلام على النبي الكريم، (هذا قبر عبد الرحمان بن حيوة من ذوي العرف الحضرمي ... وتوفي في سبع عشر من جمادى الأولى سنة ستة وعشرين ومائة وقد كتب أيضا من أسفل تلك الوثيقة التي كتبها الشيخ زهير الزهراوي نقلا عن هذه الوثيقة الجنائزية، المنقوشة على سارية حجرية (أسطوانة بمسجد متهدم بقرية كرطة، شرقي بسكرة النخيل) وأرجع تاريخها إلى 126هـ/744م، ولا يوجد بها نقط ولا شكلات، وقد ذكرها الشيخ عبد المجيد حبة في مخطوطة له لم أطلع عليها بعد.[3]

[1] عز الدين بالطيب العقبي: المرجع السابق، ص 102.

[2] المرجع نفسه، ص 103.

[3] المرجع نفسه، ص 103.

الفصـــل الثالـــث

العمـــارة فـي بـسـكـرة

I. العمارة العسكرية

1- الأبواب (المداخل) والأسوار

2- الخنادق والأبراج

3- الأنفاق

II. العمارة الدينية والمدنية

1- العمارة الدينية

2- العمارة المدنية

III. خصائص العمارة في بسكرة

I. العمارة العسكرية:

نعني بالعمارة العسكرية لمدينة بسكرة تحصيناتها العسكرية واستحكاماتها الحربية من أسوار وما تحويه من أبراج ومداخل، وهي بمفهوم أعم حماية المدينة والدفاع عنها من الخطر الداهم أو الهجومات الخارجية عليها وبقاء المدينة وسلامتها أمر مرهون بمدى قوة هذه الاستحكامات وفعاليتها.

1/ الأبواب (المداخل) والاسوار

1.1. الأبواب (المداخل):

اعتبرت الأبواب أو المداخل في المدينة الإسلامية من أهم العناصر المعمارية التي تضاف إلى التحصينات ومقوماتها، وإن هذا العنصر ذا وظيفة تشكل همزة وصل بين الداخل والخارج للمدينة وعلاوة على هذا تعتبر منافذ لكثير من المدن.

توفرت مدينة بسكرة على هذا العنصر الهام حيث تخترقها ثلاثة مداخل، وذلك استنادا لما ذكره البكري "وببسكرة علم كثير وأهلها على مذهب أهل المدينة وبها من الأبواب باب المقبرة وباب الحمام وباب ثالث"[1] لم يذكر اسمه.

حيث تعتبر هذه السمة المعمارية من بين السمات البارزة التي اشتهرت بها الكثير من المدن الإسلامية، ويتضح ذلك جليا في مدينة بغداد حيث توجد بها أربعة أبواب محورية في الجهات

[1] أبو عبيد البكري: المصدر نفسه، ص 52.

الجغرافية الأربعة وأطلق عليها أسماء المدن او المناطق المتجهة إليها والمفتوحة عليها، كما يبدو ذلك أيضا في مدينة المنصورة التي احتوت على أربعة أبواب.[1]

2.1. الأسوار:

بنيت الأسوار حول المدنية الإسلامية، نتيجة لما تعرضت له من هجمات عسكرية داخلية وأخرى خارجية، فكان اتخاذ السور حول المدينة أمرا هاما وقد تبلورت الدلالة الحضارية للسور الذي يعني أمن وأمان سكانها،[2] كما يعد سور المدينة، الحيز أو الحاجز الذي كان يضم كتلة هائلة من المباني والمنشآت الخاصة والعامة في المدينة، وذلك استنادا إلى النص التاريخي الذي ذكره البكري واصفا لنا المدينة بقوله "مدينة بسكرة مدينة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة"،[3] والحموي يذكر تقريبا نفس الوصف أو يستند عليه "... وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات".[4] كما يذكر الحميري أيضا "بسكرة مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، وعليها سور وخنادق".[5]

إلا أنه لم يبق من المدينة-بسكرة-سوى أطلال هذه الأسوار التي كانت تحيط بالمدينة القديمة وهي ما بقي شاهدا على تاريخ المنطقة طيلة العصر الوسيط من صراعات سياسية وعسكرية تلت

---

[1] مصطفى مروان: مصطفى مروان: **دراسة للمعالم الأثرية في مدينة ندرومة العتيقة**، رسالة لنيل شهادة الماجيستر، إشراف معروف بلحاج، تخصص فنون شعبية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2004م، ص90.

[2] محمد عبد الستار عثمان: **المدينة الإسلامية**، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1999م، ص 96.

[3] أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 51

[4] ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج1/ ص 422.

[5] الحميري: المصدر السابق، ص 113.

سقوط دولة الموحدين، وقد شيدت هذه الأسوار بنفس الطريقة التي كانت تبنى وتحصن بها أغلب مدن المغرب الإسلامي.[1]

2/ الخنادق والابراج

1.2. الخنادق:

قد وصفت مدينة بسكرة القديمة أنها كانت محاطة بالنخيل وعلى جوانبها خنادق، وإذا أتاهم العدو أطلقوا الماء في الخنادق فيصبح الخندق مملوء بالماء ثم يصبح سدا منيعا في وجه العدو[2]، وذلك ما ذكره البكري الذي توفي حوالي (487هـ/1094م) "بسكرة مدينة كبيرة كثيرة النخيل والزيتون وأصناف الثمار، وذكر بأنها " مدينة مسورة وعليها خندق ...".[3]

وقد ساعدت الكثير منهم في رد العدو، واعتبرت الخنادق من أهم المباني العسكرية التي شهدتها فترة الفتوحات الإسلامية وما تلاها من فتن وصراعات على المنطقة وذلك لاعتبارها همزة وصل بين التل والصحراء. فالخنادق ظاهرة عرفتها معظم المدن الإسلامية، وحتى القصور الصحراوية المعزولة بالمغرب الأوسط.

---

[1] قدور منصورية: **ندرومة دراسة تاريخية وحضارية بين القرون السابع والعاشر هجرية 633-962هـ/1236-1554م**، مذكرة ماجيستير، بإشراف مكيوي محمد، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، 1432-1433هـ/2011-2012م، ص 95.

[2] أحمد خمار: المرجع السابق، ص 10.

[3] أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 51.

2.2. الأبراج:

استعملت كمركز مراقبة كي لا يطرق المدينة العدو على حين غفلة، حيث تساعد الجنود في الدفاع عن المدينة عند اقتراب العدو، وعادة ما تبنى الأبراج فوق مداخل المدينة، والملاحظة في ان الأبراج التي وجدت ببسكرة كانت ملتحمة بالأسوار من أساسها إلى قمتها، كما أنها تختلف في شكلها وحجمها، إلا أنه لم يبق من آثار ومعالم الأبراج سوى البرج الذي ذكر أنه كان مسلحا بستة مدافع.[1]

3/ الأنفاق

كان سكان بسكرة قديما يحفرون الأنفاق في جوف الأرض ليلجئوا إليها في حروبهم، ومازالت بعضها، أو البعض من آثارها باقية إلى اليوم، وتسمى اليوم بطريق السلوقية وهي تحريف لكلمة التسليلية.[2]ومهما يكن فإن مدينة بسكرة بتحصيناتها العسكرية من أسوار وأبراج ومداخل استطاعت أن تشكل حلقة من حلقات التاريخ العسكري والسياسي في العصر الوسيط وخاصة الثلث الأخير منه.

[1] مختار حساني: **إطلالة حول مراحل تاريخ بسكرة في فترة العصور الوسطى**، المقال السابق، ص 15.

[2] أحمد خمار: المرجع السابق، ص 68.

II. العمارة الدينية والمدنية

أولا: العمارة الدينية

تعتبر المنشآت الدينية الميزة الخاصة التي انفردت بها المدينة الإسلامية عن غيرها من المدن، فهي الصبغة الدينية التي يتميز بها المسلمون عن غيرهم من الشعوب، حيث يظهر لنا المسجد الجامع وهو الذي يتوسط المدينة، ويعد بمثابة القلب النابض لها ويضاف إليه مساجد أخرى تعرف بمساجد الأحياء التي تتوزع في أحياء المدينة والتي تطورت مع الحياة الاجتماعية لأفراد الحي وسكانه عبر العصور التاريخية المتتالية لبعضها العض.[1]والعمارة الدينية تشمل الجوامع والمساجد، الزوايا، الأضرحة، المشاهد وغيرها مما له صلة بالحياة الدينية عند المسلمين.[2]

1/ المساجد والأضرحة:

✓ المساجد:

انتشرت المساجد بانتشار الإسلام وتنوعت عمارتها تبعا للزمان والمكان، وبسكرة كغيرها من المدن الإسلامية، تضمنت في أحضانها منذ الفتوحات الإسلامية، مساجد متنوعة، منها ما أصبح أطلالا وشواهد، ومنها ما هو قائم يستغل لحد الآن، وفي دراستنا هذه نتطرق بالدراسة والوصف التاريخي من الناحية المعمارية والأثرية والفنية لبعض المساجد التي عرفت بمدينة بسكرة.

---

[1] محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق، ص 233.

[2] صالح يوسف بن قربة: المرجع السابق، ص 263.

1.1.الجامع الكبير:

أ/ الموقع:

يسمى بالمسجد الكبير ويقع بالقرب من القصبة أي قصبة آل مزني، القصبة المعمورة كما سميت أيضا فيما بعد بقصبة الأتراك، له عدة أحباس[1] في بيت المقدس ومكة والمدينة خاصة بأهل بسكرة فكانوا يزورونها أثناء رحلتهم إلى الأماكن المقدسة في المشرق وخاصة في موسم الحج، كما أنه يحتوي على ثلاثمئة سارية، وله منارة عالية جدا،[2] وفيه مئة وأربعة وعشرون درجة في سلم صومعته، وقد ذكره الرحالة العياشي[3]"أن الدابة تكاد تصعد في درجاته" وكان وصفه كذلك عند الشيخ الدرعي في القرن الثاني عشر هجري.[4]

---

[1]أحباس: والاحباس من الحبس، وهو الوقف وكانت الاحباس في البداية، خاصة بالرباع والمباني حدث حبس الرزق (جمع رزقة) على المساجد والزوايا وغيرها من وجوه البر، فشملت الاحباس الأرض الزراعية أيضا. ثم صارت الأحباس أقساما ثلاثة الأحباس، والأوقاف الحكمية، والأوقاف الأهلية. أنظر، محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية**، دار الشروق، بيروت، ط1، 1413هـ/1993م، ص33.

[2]عبد الحليم صيد: المرجع السابق، ص 43.

[3]العياشي: المصدر السابق، مج2/ ص 540.

[4]أبو العباسي أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: **الرحلة الناصرية**، تحقيق وتقديم، عبد الحفيظ ملوكي، 2011م، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية، 2009-2010م، ط1، ص 158.

ذكر البكري وجود عدة مساجد وجامع ببسكرة "ومدينة بسكرة مدينة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة"[1]، إلا أنه لم يذكر لنا عن تاريخ تأسيسه ولعله أسس في الفترة الأولى من الفتوحات الإسلامية، أو في عهد الدولة الفاطمية لأن خلفاءها اهتموا ببناء المساجد، ويبدو أنه لم يكن هو الوحيد بل توجد مساجد أخرى إلا أنها أقل أهمية منه.[2]

2.1.مسجد عبد الرحمان الأخضري:

يقع في قرية مليلي[3] ببلدة بنطيوس[4] تبعد حاليا عن بسكرة 30 كلم، وقد ذكر العياشي عن المسجد "ومررنا بقرية مليلي ظهرا ثم دخلنا لزيارة مسجد سيدي الشيخ عبد الرحمان الأخضري وهو إمام الجامع بين علم الظاهر والباطن له تأليف مشهورة وكرامات مأثورة، نزلنا من بسكرة ضحى يوم الإثنين وكان نزولنا خارج البلد من غريبة لأجل الوباء واضطر الناس لدخول البلد لشراء الزاد ووجدنا الركب الذين دخلوا قبلنا نازلين بداخل البلد وخوف أهل البلد من أبناء ناصر بن بوعكاز وحذروهم من غارتهم".[5]

---

[1] أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 52.

[2] مختار حساني: موسوعة تاريخ المدن الجزائرية، المرجع السابق، ص 07، انظر رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 156.

[3] مليلي: واحة مليلي الواقعة الى الجنوب الشرقي من الدوس (الدوسن)، فقد توفر بها مركز حراسة روماني يمثل آخر نقطة من امتداد خطوط الليمس الرومانية توغلا في الجنوب، أنظر، محمد الصغير غانم: **مواقع ومدن أثرية، الطباعة الشعبية للجيش**، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص21

[4] بنطيوس: تعد من الواحات التي عثر عليها في العهد الروماني، استنادا على وجود عدة قبور حجرية بالإضافة الى بقايا سور حجري يمتد حول ضريح سيدي أحمد الحاج، انظر، محمد الصغير غانم: المرجع نفسه، ص22.

[5] العياشي: المصدر السابق مج2/ ص 542، انظر أيضا، الدرعي: المصدر السابق، ج1/ ص 159.

على ركب الحجاج فلم يسرح الركب سارحه فاشترينا الحشيش، دخلت البلد لزيارة أبي الفضل رضي الله عنه وقبره خارج المدينة وحوله مسجد ومساكن أقوام من جيرانه، وقد علق العياشي على مدينة بسكرة التي زارها خلال فترة متأخرة – خلال الوجود العثماني – حيث وصفها أن بها الأمن يكاد يكون منعدما، نتيجة للصراع الحادث بين الترك والأعراب آنذاك، إلا أن الحياة العلمية خلال العصور السابقة – أي الوسطى – كانت مزدهرة بالعلوم لأنه ذكر الكثير من العلماء الذين التقى بهم منهم، سيدي أبو الطيب نصير "وقد التقينا مع رجل من الصالحين يجمع بين العلم والعمل والزهد وهو سيدي أبو الطيب نصير".[1]

3.1. مسجد سيدي موسى الخذري:

يتبن من خلال اللوحة الرخامية الموجودة بالجدار الخارجي للجامع من ناحيته الشمالية، والتي جاء فيها بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم هذا الولي الصالح سيدي موسى الأخذري أسس بنيانه في عهد الأتراك في القرن العاشر من الهجرة/1550م أين تم إعادة بنائه.[2]

[1] العياشي: المصدر السابق، مج1/ ص 139.

[2] مختار حساني: **إطلالة حول مراحل تاريخ بسكرة في فترة العصور الوسطى من خلال المصادر**، المقال السابق، ص 28.

أ) الموقع:

يوجد مسجد سيدي موسى الخذري وسط حي لمسيد داخل غابات النخيل بالجهة الجنوبية الشرقية لمدينة بسكرة عند نقطة تقاطع خطي طول وعرض (س.ع): (175. 50 . 177). وبسكرة مدينة تقع في جنوب المغرب الأوسط بإقليم قسنطينة من أشهر الواحات الجزائرية كانت عبارة عن قرية بربرية عتيقة عرفت أيام الرومان باسم فيسيرا (Viscera)، استخدمت كأحد المراكز الحربية التابعة لخط الليمس المخصصة لحماية الزاب.[1]

[1] شلوق فتيحة: **دراسة معمارية وأثرية لجامع سيدي موسى الخذري، بسكرة**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الرابع، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، جانفي2000م، ص02.

ويعتبر هذا المسجد[1] من الأقدم في مدينة بسكرة، بل هو ثاني أقدم المساجد بمنطقة الزيبان بعد مسجد سيدي عقبة.

الشكل رقم 01: مخطط جامع سيدي موسى الخذري قبل توسيعه

[1] شلوق فتيحة: المرجع السابق، ص 07.

ولتشييد المسجد تم الاعتماد على تقنيات ومواد بناء بسيطة[1]كما يوضحه الشكل الموالي:

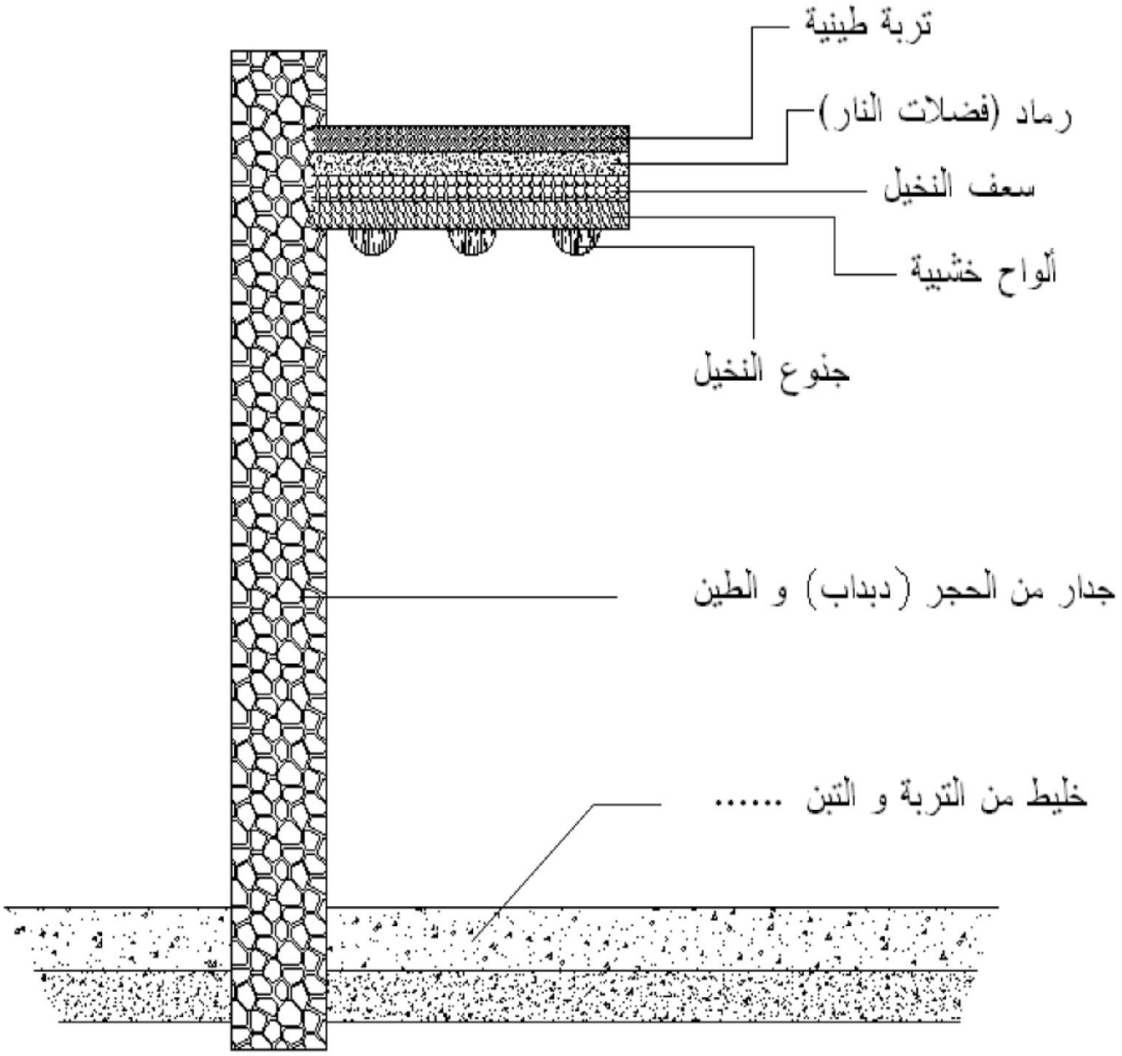

الشكل رقم 02: تقنيات ومواد البناء

[1] شلوق فتيحة: المرجع السابق، ص 08.

ب)تاريخ إنشاء المسجد:

وجدت بعض الإشارات والدلائل المادية والتاريخية التي يمكننا من إرجاع تاريخ إنشائه إلى الفترة الممتدة بين القرنين الثاني والثالث هجري بين الثامن والتاسع ميلاديين.

وبناء على ما ذكره البكري في وصفه لمدينة بسكرة "وبها جامع ومساجد كثيرة"،[1]الذي عاش خلال القرن الخامس نستنتج من ذلك أن تاريخ بنائه يعود إلى ما قبل تلك الفترة، لذلك يمكن القول أن المسجد، بني خلال عهد الدولة الأغلبية وذلك ما عرفت به الدولة من بناء المساجد والجوامع والصهاريج وغيرها،[2] وعلى ما ذكره الجيلالي "أن المغرب العربي منذ عهد الفتح الإسلامي إلى زمن انتصاب الدولة الأغلبية كان منقسما إلى خمسة أعمال هي: "طرابلس ...، قسطيلة، تونس...، بلاد السوس أو المغرب الأقصى ...، والخاص من هذه الأعمال هو بلاد الزاب الجزائري وقاعدته مدينة طبنة على بعد ثلاثة أميال جنوبي بريكة وتارة بسكرة".[3]

ومجمل القول أن مسجد الخذري، بسيط في عمارته فبين أن الصلاة فيه قليل العمق ومئذنته مربعة الشكل على غرار مآذن المغرب الإسلامي، فهو ذو طابع معماري أصيل يعود إلى أنموذج مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ونابع من تفاعل الإنسان مع بيئته من حيث التصميم ومواد البناء، وتتوفر فيه الكثير من خصائص العمارة الإسلامية كخاصية الجوانية وخاصية المقياس

---

[1]أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 51-52.

[2]الرقيق القيرواني: **تاريخ افريقية والمغرب**، تقديم وتحقيق وتعليق، محمد زينهم، محمد عزب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ/1994م، ص 35-36.

[3]عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 194-196.

الإنساني، إلا أنه لا يلقى الشيء الكثير من الرعاية والاهتمام من الجهات الوصية التي قامت بترميمه دون مراعاة ضرورة الحفاظ على طابعه المعماري المميز.[1]

4.1.مسجد محمد الصالح:

يوجد هذا المسجد في أحد أحياء المدينة وهو من بين المساجد المندثرة، وقد حفظ لنا كل من العياشي والدرعي أخبارا يسيرة عن المسجد فذكر العياشي "وقد دخلنا بسكرة عقبة فوجدنا أكثر حوماتها خالية ومساجدها كاثرة ولقيت بها سيدي محمد الصالح، وهو رجل من أهل الخير منفردا في مسجد إزاء داره يلازم الصلوات الخمس ويجمع إليه أناس من أصحابه"،[2]أما الدرعي فقد أضاف عنه "ومن هؤلاء العلماء سيدي محمد الصالح وهو رجل من أهل الخير له مسجد إزاء داره يلازم فيه الصلوات الخمس"،[3]لكنهم لم يذكروا عن تفاصيل تاريخ البناء أو عن شكله إلى غير من ذلك.

5.1. مسجد أبي الفضل يحيى:

يوجد هذا المسجد في حي قداشة (حاليا)، وقد ورد ذكره عند بعض الرحالين أمثال العياشي والدرعي والورتيلاني، فجاء وصف العياشي "وقد ذهبنا معنا إلى قبة أبي الفضل وصلينا العصر في مسجد هذا الولي الصالح، كما أضاف في نص آخر "وقد دخلنا المسجد طلعنا إلى مئذنته وهي رائعة وغاية في الإتقان والطول والسعة، تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها، وأدراجها مائة وأربع وعرون درجة والمسجد في غاية السعة والإتقان، إتقان البنيان إلا أنه قل عامره وضعف ساكنوه فلا ترى به مدرسا ولا قارئا، مع أن هذه المدينة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرةمع

---

[1]فتيحة شلوق: المرجع السابق، ص2.

[2]العياشي: المصدر السابق، ج1، ص139.

[3]الدرعي: المصدر السابق، ص 140.

توفر أسباب العمران فيها،[1]ولعل ذلك يرجع إلى أسباب سياسية تتمثل في الحروب والفتن التي خلفها الأعراب والترك فيما بعد، وأن العصر الوسيط كان أحسن من ذلك في الالتزام بالمسجد.

أما الورتيلاني فذكر "وزرنا سيدي عبد الرحمان وسيدي أبي الفضل"،[2] ومن ذلك يتبين لنا أنه كان يوجد ضريح أو ولي بهذا الاسم، والأرجح أنه مسجد تطابقا مع نصوص الآخرين.

✓ **الأضرحة:**

تنتشر الأضرحة[3] في أغلب أقطار العالم الإسلامي وبأسماء مختلفة، فهناك القبة أو الضريح، ويمثل هذا الطراز البناء الذي كان يقام على رفاة ولي صالح أو أمير أو سلطان، وكان صاحب الضريح يدفن فيه ويوضع فوق قبره تركيبة من الحجر أو الأجر وأحيانا تابوت من الخشب.[4]

ويرجع تاريخ بداية انتشار الأضرحة إلى صدر الإسلام، وكثيرا ما كانت تبنى للسلاطين والأمراء وتلحق عادة بالمسجد أو المدارس، وكانت الأضرحة في إيران أكثر انتشارا منها في سائر الأقطار العربية.

---

[1]العياشي: المصدر السابق، مج1/ ص 139، أنظر الدرعي، المصدر السابق، ص 140.

[2]حسين بن محمد السعيد الورتيلاني (ت 1193هـ / 1779م): **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورتلانية)**، مطبعة بيار فانتنا، الجزائر، 1908م، ص ص 86-87.

[3]الاضرحة: مفردها، ضريح، وهو شق في وسط القبر، وقيل القبر كله، وقيل هو قبر بلا حد وسمي ضريحا لأنه يشق في الأرض شقا، ولأنه انضرح عن جانبي القبر فصار في وسط. أنظر، ابي عبد الله بن إسماعيل البخاري: **صحيح البخاري**، بيروت، مج1/ ص115.

[4]محمود وصفي محمد: **دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية**، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1980م، ص 39.

كانت الأضرحة أبنية مربعة الشكل عليها قبة ذات أركان محلات بالمقرصنات، وكان تصميم الأضرحة يختلف باختلاف الأقطار الإسلامية، وعلى سبيل المثال أن الأمراء والأميرات في إيران يدفنون في مقابر على شكل أبراج أسطوانية وقد يعلوها في بعض الأحيان سقف مخروطي الشكل. أما في بلاد المغرب الإسلامي فقد اقترنت الأضرحة بأسماء بعض العلماء والأولياء الصالحين الذين كان لهم صيت كبير خلال الفتوحات الإسلامية بالإضافة إلى دورهم في نشر الإسلام، ولعل أقدم الأضرحة بالجزائر مقام سيدي عقبة الذي يوجد بالقرب من مدينة بسكرة.[1]

شيد هذا المقام تقديرا للفاتح العظيم عقبة بن نافع الذي استطاع فتح ربوع بلاد المغرب، وقد أقيم هذا المقام في نفس المنطقة التي قتل فيها هذا الفاتح، وقد تطورت هذه الطرز العمرانية وانتشرت في أغلب المدن والعمائر الإسلامية وتقام أحيانا داخل المقابر، وزاد عدد الأضرحة في المغرب الاوسط خاصة خلال العهد الزياني، من أهم الأضرحة التي أقيمت في بسكرة.[2]

- **ضريح سيدي موسى الخذري:**

يقع في بسكرة وبالضبط في حي المسيد، إذ أنه شيد بعد فترة وجيزة من تأسيس مسجد عقبة حوالي فترة حكم الأغالبة بتونس، لكن فيما بعد عرف الضريح عملية الإصلاح والترميم وذلك في فترة الحكم التركي (العثماني).

[1] محمود وصفي محمد: المرجع السابق، ص 39.

[2] المرجع نفسه، ص 39.

يتبن من خلال اللوحة الرخامية الموجودة بالجدار الخارجي للجامع من ناحيته الشمالية، والتي جاء فيها بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم هذا الولي الصالح سيدي موسى الأخذري أسس بنيانه في عهد الأتراك في القرن العاشر من الهجرة 1550 أين تم إعادة بنائه.[1]

ثانيا: العمارة المدنية

إن المدينة الإسلامية تطورت بتطور الطرز العمرانية المختلفة التي أدخلت على الفن المعماري، كما اختلفت من منطقة إلى أخرى بما فيها المغرب والمشرق الإسلاميين، تنوعت العمارة المدنية واختلفت من حيث الهندسة المعمارية على عكس العمارة الدينية، التي تشمل بالخصوص المساجد وما تحويه من عناصر معمارية مختلفة حسب البلدان التي ظهرت فيها لتأثير البيئة عليها من مناخ وموقع جغرافي وطبيعة مواد البناء، كما أثرت عليها أيضا عقائد الأمم وأخلاقهم وعاداتهم.[2]

وكان للدين الإسلامي دور كبير في الحضارة سواء في البلاد العربية أو الأقطار الأخرى، بما في ذلك فن العمارة الذي ازدهر في بلاد الأندلس أو ما يعرف بالأسلوب الأموي المغربي، ولذا كان

---

[1] مختار حساني: **إطلالة حول مراحل تاريخ بسكرة**، المقال السابق، ص 28.

[2] السيد عبد العزيز سالم: **تخطيط مدينة الاسكندرية وعمرانها في العصر الإسلامي**، دار المعارف، لبنان، 1964م، ص14.

المرابطون ثم الموحدون حلقة اتصال بين الأندلس وبلاد المغرب حيث تطورت العمارة الفنية التي ازدهرت في كلا العدوتين.[1]

1.1. المساكن:

تختلف مساكن بلاد المغرب الأوسط إلى عاملين يحددان طرازها وأثاثها وهما يمثلان بالتراث المتوارث عبر الأجيال والمستوى الحضاري الذي بلغه المسلمون في القرنيين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر ميلاديين) وهي إن اختلفت بدرجات متفاوتة من منطقة إلى أخرى.[2]

وذلك السبب ظروف طبيعية كالمناخ أو الأرض أو بسبب الأحوال المادية لأهلها، لكنها تظل بصفة عامة متشابهة في إطار المغرب الإسلامي لخضوعها لنفس التأثيرات، وكان الاهتمام بعنصر الماء والزروع الخضراء في وسط فناء المنزل، وقد تكررت هذه الظاهرة وشاعت بين مدن العالم الإسلامي كله، وكثف استخدامها في بعض المدن كمدينة "فاس، التي أصبحت فساقيها أشبه ما تكون بحمامات السباحة الخاصة جعل من فناء المنزل مكان الانطلاق نحو السعة والخضرة والماء في حرم آمن.[3]

وهكذا وجدت أغلب المدن الإسلامية في منازلها البديل من الشوارع الواسعة والميادين والساحات الخضراء والفساقي العامة التي تزينها فيما توفر بأفنية هذه المنازل، كما وجدت البديل

---

[1] مصطفى مروان: المرجع السابق، ص 90.

[2] جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص386.

[3] محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق، ص 312.

من المنتديات العامة والمسارح في قاعات الاستقبال بالمنازل التي كانت تؤدي هذا الغرض بطريقة تتفق والخصوصية التي تحرص عليها التعاليم الإسلامية.[1]

فهذا الأمر يسمح لنا أن نستلهم من هنا وهنالك وصفا للمساكن فتكون صورة تقريبية، عليها مساكن بلاد المغرب الأوسط. وذلك مثلها مساكن بسكرة لم تخرج عن نطاق شكل منازل المدن الإسلامية.[2]

أغلب المنازل المدينة بنيت من الطوب في حين كان بعضها يبنى بالحجر ويبدو أن بعض المساكن المبنية بالحجر كانت حجارتها منحوتة منتظمة.[3] وقد اتبعت مدينة بسكرة في تحصيناتها نمط القصور الصحراوية حيث أن المدن لم تكن بها عمارة عسكرية مناسبة لاستعمال المدافع إلا أن البرج الذي كان بالمدينة كان مسلحا بستة مدافع.

وكان القادة المكلفون بالإشراف على المدينة يتمتعون بمكانة مرموقة في أوساط العامة، وكان الحامية في حاجة ملحة إلى الحطب اليومي. حيث ضمت المدينة في بنيانها الأول العديد من المدن منها جمونة وطولقة ومليلي وبنطيوس،[4] وكانت من القرى القديمة بها قرية تدعى ملشون كما وردت عند البكري،[5] وقد بنيت بها القصور حتى قيل أنه في نزول بني ريفة الزناتيين "مل بين

---

[1] محمد عبد الستار عثمان: المرجع نفسه، ص 312.

[2] جودت عبد الكريم يوسف: نفسه، ص 386.

[3] المرجع نفسه، ص 386.

[4] مختار حساني: **إطلالة حول مراحل تاريخ بسكرة في العصور الوسطى**، المقال السابق، ص15.

[5] أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 52.

قصور الزاب وواكلا" واختطافهم قصور على مجرى الواد المنحدر فيه من الشرق إلى الغرب ولعل الوادي القريب من بسكرة.[1]

كما احتوت هذه المدن بمنازل، تكونت من قدرة الساكن، وأغلب الديار في بسكرة تركبت من بيت للنوم وبورطات سقيفة طويلة وعريضة (حوش)، ودويرة فيها كانون (مرقد)، إصطبل للماعز والبقر والخيل والحمير وبيت الحطب وبيت المؤونة (المخزن)، والمطهرة في الطابق الأول، المرحاض في الطابق الأرضي، وبيت التبن وبيت خاص بالضيوف يكون خراج المنزل وبعض البيوت تقع وسط بساتين النخيل وتسمى غابة الدار[2]، وقد عرف المغاربة التفنن في مساكنهم منذ زمن بعيد حتى برزت عندهم مدن عظيمة وعمارة فخمة.[3]

[1] عمار غرايسة: **من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية ورجلان أنموذجا**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، 2011م، المركز الجامعي الوادي، 2011، ص 413.

[2] أحمد خمار: المرجع السابق، ص 66.

[3] البكري: المصدر السابق، ص 52، أنظر كذلك الحميري، المصدر السابق، ص113.

2.1. الصهاريج:

الصهريج عبارة عن خزان ماء فوق سطح الأرض، وقد اعتنى الأغالبة ببناء الصهاريج للمياه وجبابها ويقصد بالجب انه يكون في باطن الأرض، والجب مخزن واسع يتكون من حجرة واسعة قد يصل قطرها إلى أربعين مترا وعمقها نحو عشرين مترا ثم يبنون عند الماء حجرة أو قبوا واسعا بالحجر أو الطوب الأحمر أو الطوب المغطى بالبلاط الذي لا تؤثر فيه المياه، ولذلك أكثر الاغالبة من بناء المواحل، والماحل يتجمع فيها ماء المطر وهي دائما مكشوفة وقد يقام في وسط الماحل جوسق يجلس فيه الأمير للراحة، ومواحل القيروان وسوسة وتونس تعتبر من الآثار الجميلة التي تستحق المشاهدة.[1]

كانت بسكرة في القرن 6هـ محاطة بخنادق وتسقى بآبار وبعض الأنهار، وكان لها خزان كبير عمقه داخل الأرض أربعون مترا يستعمله السكان عند الحاجة إلى مائة، وكان يستخرج من حافة هذا الخزان الطين لاستعماله في صنع الأواني المنزلية وهذا الخزان تحول الآن إلى بستان كبير يسمى بالبستان الفارق موجود بين قداشة وزقاق الشرفة وسمي الفارق لأنه عميق جدا.[2]

---

[1] الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 36.

[2] أحمد خمار: المرجع السابق، ص 68.

3.1.الحمامات:

تزخر مدينة بسكرة بالعديد من الحمامات وذلك ما ذكره الجغرافيون أمثال البكري والحموي وغيرهم "ومدينة بسكرة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات"[1]وهي "ذات أسواق وحمامات".[2]

والعياشي وصف المدينة في وقت متأخر "البلاد التي سكنتها شرقا وغربا أحسن منها ولا أحصن من أسوارها وخنادق خلف الأسوار وبها حمامات معدنية".[3] وقد كان لحماماتها شهرة كبيرة حيث أصبح الناس يقصدها من جميع أنحاء العالم ومن دول مختلفة، وتميزت هذه الحمامات بخاصية علاج الأمراض الجلدية والروماتيزم والأعصاب وغيرها.[4]

ولعل من أهم الحمامات بها:

حمام الصالحين، إن صحة الرواية التي، تنسب أصل تسمية بسكرة إلى هذا الحمام، الذي وجدت آثاره منذ العهد الروماني، ولعل التاريخ يرجعه إلى الفترة التي سبقت الرومان أيما قبل التاريخ –العصر الحجري –، وقد ذاع صيت هذا الحمام واشتهر بالمدينة وبالمغرب الأوسط كله، وذلك لسبب الميزة الطبيعية التي امتاز بها، ألا وهي خاصية علاج لكثير من الأمراض.

---

(1) بوزياني الدراجي: **ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية**، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، ص91.

(2) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1/ ص 422.

(3) العياشي: المصدر السابق، ج2/ ص540.

(4) أحمد خمار: المرجع نفسه، ص 66.

كما توجد حمامات أخرى، مثل حمام الرمال وهو مخصص لمرض الروماتيزم، أي أمراض البرد والرجلين وحمام آخر يسمى حمام الجرب، وفيه ماء بارد أبيض كالجير ويذهب إليه الناس المصابون بالأمراض الجلدية مثل الجرب.

وحمام الشمس ويبقى فيه المريض تحت حرارة الشمس ويقصدونه من السويد والغرب عموما.[1]

III. خصائص العمارة في بسكرة

يتضح لنا أن مدينة بسكرة، تتصف بأوصاف تؤكد تمتعها بخصائص العمارة، وذلك من خلال ما ذكره الجغرافيين الذين زاروا المنطقة،[2] والمؤرخين القدامى.[3]

1- تميزت بسكرة بخصائصها، لكثرة السكان والعمران بها، حيث وصفت بأنها مدينة كبيرة وبها عمارة ومدن وهي قاعدة لهده المدن وتوارث على حكمها العديد من الشعوب والقبائل العربية وذلك ما أكده، البكري" وبسكرة كورة بها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة، وهي مدينة كبيرة...، سكانها المولودين".[4]

---

[1] أحمد خمار: المرجع السابق، ص ص66-67.

[2] أبو عبيد البكري: المصدر السابق، 51، أنظر أيضا، ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 32، أيضا، الحميري: المصدر السابق، ص114، أيضا، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1/ ص 422، أيضا، الادريسي: المصدر السابق، ج 1/ ص 264.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر السابق، ج6/ ص 585، انظر أيضا، القلقشندي: المصدر السابق، ج1+4 ص 185.

[4] أبو عبيد البكري: المصدر نفسه، ص 52.

2-بينما تحدث آخرون عن أهمية بسكرة الاقتصادية، بما يتوفر فيها من مياه ونشاط اقتصادي، اذ يذكر البكري"... وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة منها في الجامع بير لا تنزف وداخل المدينة جنان يدخل إليه الماء من النهر وبها جبل ملح يقطع فيه كالصخر الجليل".[1]

وأضاف الحميري،"...، ويشق بسكرة نهر كبير ينحدر من جبل أوراس يسقي بساتينها ونخيلها وهو نحو ستة أميال في غابة متصلة بالمدينة سوى غابات كورها وقراها".[2]

وقد ذكر أيضا الحموي" وتعرف ببسكرة النخيل"[3] وهذا دلالة على كثرت نخيلها.

3-أما الخاصية الثالثة، التي تمتعت بها المدينة، فهي التحصين. إذ أن الأمن يشكل عاملا مهما في ديمومة الحياة في أي مدينة، وفقدانه يعرضها إلى الاضطرابات الداخلية والخارجية.[4] ومن هنا، فقد نوها الجغرافيين الذين وصفوا المنطقة، بأنها مدينة مسورة جليلة، حيث ذكر الإدريسي" .... من حصن بسكرة مرحلتان، وهو حصن منيع في كدية تراب عال وبه سوق وعمارة وبه أيضا من الثمر كل غريبه وطريفة"[5]

---

(1) البكري: المصدر نفســه، ص52.

(2) الحميري: المصدر السابق، ص114.

(3) ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج1/ ص422.

(4) أبي الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تصحيح وترجمة، كارل يحي تورنبرغ، دار الطباعة المدرسية، اوبسالة، 1893م، ص33.

(5) الإدريسي: المصدر السابق، ج1/ ص264.

4-أما الخاصية الرابعة، التي امتلكتها مدينة بسكرة، فهي وجود المسجد الجامع [1]، الذي يعد شرط أساسي للمدينة، اذ لا تسمى المدينة الإسلامية إلا بوجوده.بالاضافة الى الأسواق، وذلك ما أكده الإدريسي في النص السابق. وعلى العموم أن مدينة بسكرة تمتعت بتلك الخصائص، التي بفضلها البعض الآخرأنها تميزت بخصائص المدينة الإسلامية.

[1] ابن الحاج النميري: **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، دراسة وإعداد، محمد ابن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص 438.

الخاتمة

رغم أن مدينة بسكرة لم تكن بمستوى المدن المغربية الكبرى، مثل تلمسان، مراكش، فاس، تونس بجاية، ورجلان، وغيرهم، إلا أن تاريخها كان حافلا بعدة أحداث تاريخية عكست بالتالي واقعا ثقافيا، واقتصاديا، وسياسيا، واجتماعيا، وعمرانيا، ميزها عن باقي المدن الصغيرة في الجهة الجنوبية الشرقية للجزائر(حاليا)، إذ هي ذات موقع استراتيجي على بعد مرحلتان من مدينة طبنه وبالقرب من مدن بلاد الجريد، وقد أقيمت بين التل والصحراء، في منبع حمام الصالحين، من أهم التضاريس السائدة في المنطقة هي مرتفعات جبال القنطرة، من الجهة الشمالية، إذ كانت بسكرة مدينة محصنة وممر تجاريا هاما في تاريخ المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، لأن هذه المميزات جعلت منها مدينة عامرة وآهلة بالسكان.

حظيت مدينة بسكرة باهتمام الكثير من المؤرخين القدامى والرحالة الجغرافيين عربا وأجانب، إلا أنهم لم يجتمعوا على رأي بخصوص تاريخ تأسيسها، ومصدر اسم المدينة واشتقاقها، فهناك من يرى على أنها مدينة قديمة أزلية وجدت في عهد الرومان، واسمها مشتق من كلمة "ادبيسنام" والتي تعني منبع حمام الصالحين، وهناك رواية أخرى تعتمد على الجانب الجغرافي وترى أن كلمة بسكرة في الحقيقة مشتقة من "سكرة" وهذا تلميح إلى حلاوة تمورها وكثرة نخيلها، لكن تبقى هذه الآراء مجرد روايات.

أما عن وصف الجغرافيين لها يتضح لنا أن المدينة، اتخذت اسمها من النخيل ويسمونها "ببسكرة النخل"، كما ان هناك من المؤرخين من يرى أن اسمها مأخوذ من فسكيرة أو فيسيرا وهي كلمة رومانية والتي تعني المحطة أو المقر التجاري، ورأي آخر يرى أن المدينة جاءت بهذا الاسم

بسكرة بكسر الكاف وراء بلدة بالمغرب من نواحي الزاب، بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، فيها نخل وشجر وقسب جيد، وبينها وبين طبنه مرحلة كذا ضبطها الحازمي وغيره، يقول بسكرة بفتح أوله وكافه، لذا لا نستطيع الجزم في تاريخ تأسيسها ومصدر اشتقاق اسمها، حيث جهلت أحداث هذا التغير، وكانت بسكرة في جميع تلك الأحوال مرتبطة بمصير إقليم الزاب، ذلك أن هذا الإقليم كان يضم العديد من المدن، طبنه، والمسيلة، واشير، وغيرها. وقد أصبحت بسكرة في إحدى الفترات عاصمة لهذا الإقليم. وذلك مع دخول الأعراب الهلاليين للمنطقة تحت إمارة بني مزني وبنو رومان فيما بعد.

لقد تميزت مدينة بسكرة بسمات المدينة الإسلامية منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وذلك حسب الكثير من الجغرافيين والمؤرخين لها، بغض النظر عن المميزات التي تفرضها البيئة الطبيعية والتقاليد المحلية، لأن تشيد المدينة مرتبط بضوابط وشروط أساسية، وضرورة توفر بعض المعالم العمرانية، وبسكرة تتوفر على أسواق وجامع ومساجد كثيرة، كما أحيطت بأسوار ولها ثلاثة أبواب، وبها سكان يدعون المولودين، يمارسون مختلف الأنشطة الاقتصادية بما توفر فيها من ماء ومن مقومات الفلاحة والحرف الصناعية والتجارة.

لم تكن مدينة بسكرة في منأى عن النشاط السياسي، لقد شاركت فيه، فمنذ العصر الاغلبي ثم عصر بني حماد، بحيث أسهمت بأدوار أساسية مهمة في تاريخ الخلافة الأغلبية بصفة عامة والمغرب الإسلامي بصفته الخاصة، وذلك لقرب حدود المنطقة لبلاد الجريد ومنها الى حاضرة الاغالبة(تونس حاليا)، ولكن على الرغم من موقعها في وسط الزيبان المحصن، وبعدها عن الحروب

السياسية، الا انها كانت محل أطماع لكثير من الغزاة، ربما سبب ذلك هو وقوعها بين المغربين أي بلاد المغرب الأدنى من جهة والمغرب الأوسط من جهة أخرى، مما زاد في سوء حظها وأضحت محل أطماع وموضوع تنافس ونزاع بين الأمراء والقبائل، وخاصة نزوعها التجاري الذي جعل منها ممر يربط بين الكثير من الطرق التجارية، ووصل في بعض الأحيان حتى بلاد السودان.

لم تقتصر أهمية بسكرة على موقعها الاستراتيجي فحسب، بل تعدت أهميتها على ملامح اقتصادية أخرى، ضمنت محاصيل زراعية متنوعة، كالزيتون والحبوب والفواكه والخضر، وانفردت بجودت تمورها ووفرت بساتينها وكثرت مياهها.

ولذا فان النشاطات الاقتصادية لسكان المنطقة في فترة الدراسة ناجم عن تفاعل الإنسان مع البيئة الجغرافية، وبخاصة الحرفة الاقتصادية التي يمارسها السكان قد ساهمت بدورا أساسي في توزيع السكان ونمط انتشارهم، إضافة الى الظروف التاريخية التي مرت بها المدينة قد أترث في تحديد اتجاهات التوزيع الجغرافي لسكان المدينة، اذ هي بالدرجة الأولى منطقة غلب عليها الطابع الصحراوي البدوي، بالإضافة إلى الحرفيين بالأحياء السكنية داخل المدينة، يمارسون بعض الأنشطة اليدوية مثل الصناعات النسيجية وصناعة الفخار من ألواح الطين، أما سكانها فأكثرهم ذو أصل بربري، وقد عرفوا بأماكن عديدة لالتقائهم داخل المدينة، مثل السوق، والجامع الكبير الذي يمثل القلب النابض للمدينة، وهو مركز للصلاة والعبادة والدروس العلمية، لما وجد خارج المدينة من أرباض وبساتين ومزارع. كما ورد عن الجغرافيين، كلها فضاءات زادت من حركة الحياة الاجتماعية

والعلاقات بين البادية والمدينة، وقد تجلى هذا التواصل في كثير من الوقائع منها مساهمة أهل بسكرة بمالهم من جهدهم في بناء مئذنة المسجد الكبير، ومساجد أخرى كثيرة، كما وصفها الجغرافيين.

كما كان لمدينة بسكرة إسهامات في الحياة الفكرية والعلمية من خلال دور علمائها في نقل المعارف بين الحواضر والأقطار ببلاد العالم الإسلامي، وتواصلها بين الأجيال، فهناك علماء تتلمذ عليهم من أصبح عالما، ومن أعلام الفكر والحضارة الإسلامية، وهذا ما يكشف عن الدور الهام، الذي كان يؤذيه المسجد الجامع بالمدينة في ميادين: الفكر، اللغة، القراءات، النحو، وغيرها. وهي في صميم رسالته ورسالة غيره من المساجد التي وجدت في الفترة الوسيطة للمغرب الأوسط، إذ تميزت هذه الفترة بالاضطرابات والتقلبات السياسية والحروب والمشاحنات بين دول المغرب الإسلامي، ووصبت حتى إلى دول المشرق والتي تمثلت في ظهور الفرق والمذاهب الإسلامية بين جميع دول العالم الإسلامي.

كما كانت المدينة مثوى لكثير من الرحالة الجغرافيين والمؤرخين، الذين نالت من إعجابهم، حتى ذكر أحدهم انه لم يرى مثلها من المدن التي مر بها، بل وكانت مدينة علم وعلماء، وخير دليل على ذلك، مكوث العلامة العربي المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون، لأكثر من الستة أعوام، وذلك حوالي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي.

ومن البديهي ما عرفته المدينة من ازدهار اقتصادي، قد كان له اثر إيجابي في تطور بسكرة عمرانيا ولا سيما في المجال الثقافي والعلمي، اذ تختص المدينة إرثا معماريا لا بأس به، سواء

الديني، المدني والعسكري يشهد على القيمة الحضارية لها، ألا وان احسن مثال على ذلك ضريح سيدي عقبة الممثل الان مسجد عقبة بن نافع الفهري.

مهما يكن من أمر، فالجدير بالملاحظة، هو انه على الرغم من الهجومات المتكررة على المنطقة من قبل بني حفص وبني زيان وهيمنتهم على المدينة، إلا أنها كانت مركزا حضاريا ذو أبعاد اقتصادية وعلمية، تجلت في كثير من الخيرات والمنافع للمنطقة، وعلى الرغم من عدم الاستقرار الذي عرفته مدن المغرب الأوسط بصفة خاصة في العصر الوسيط، إلا أن مدينة بسكرة كانت لها مكانة تذكر، من حركة تجارية وعلماء وطلاب وأناس قد سكنوها وقد كفلت الازدهار وسعة العيش في المدينة.

وصفوة القول، أن بسكرة تميزت عن غيرها من المدن الصحراوية بصفة عامة وعن إقليم الزاب بصفة خاصة، ويكفي أنها أنتجت الكثير من العلماء والفقهاء وتنوع بها الإنتاج الزراعي، والصناعي، وكانت همزة وصل بين مدن الشمال والجنوب الجزائري، وطريق الحجيج عبر التاريخ، كيف لا وهي حاضنة رفات الصحابي الجليل وفاتح بلاد المغرب عقبة بن نافع الفهري وثلة من الصحابة والتابعين، وهي عروس الزيبان وبوابة الصحراء.

الملاحق

ملحق رقم 01 : صورة قديمة لمدينة بسكرة

(انظر سلسلة بسكرة السحر المثمر: المرجع السابق، ص78.)

الملحق رقم 02 : مسكن قديم بالمدينة

(انظر سلسة بسكرة، المرجع السابق، ص90)

الملحق رقم 03 : إحدى الأبواب القديمة لمساكن مدينة بسكرة (انظر سلسلة بسكرة، المرجع السايق، ص90)

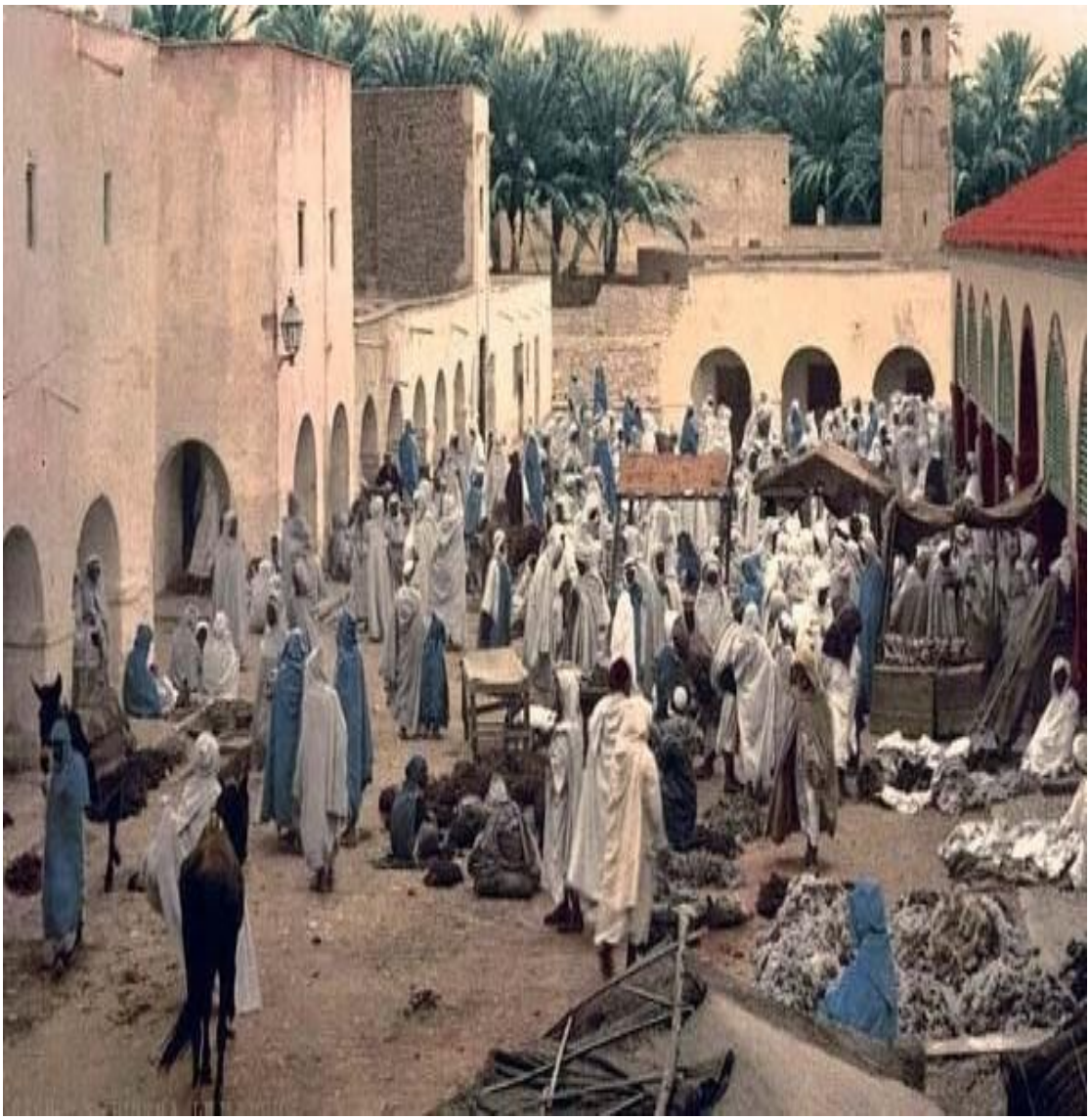

الملحق رقم 05 : سوق قديم بمدينة بسكرة

(انظر سلسلة بسكرة، المرجع السابق، ص135.)

الملحق رقم 06 : تمور بسكرة (دقلة نور)

(انظر سلسلة بسكرة، المرجع السابق، ص100.)

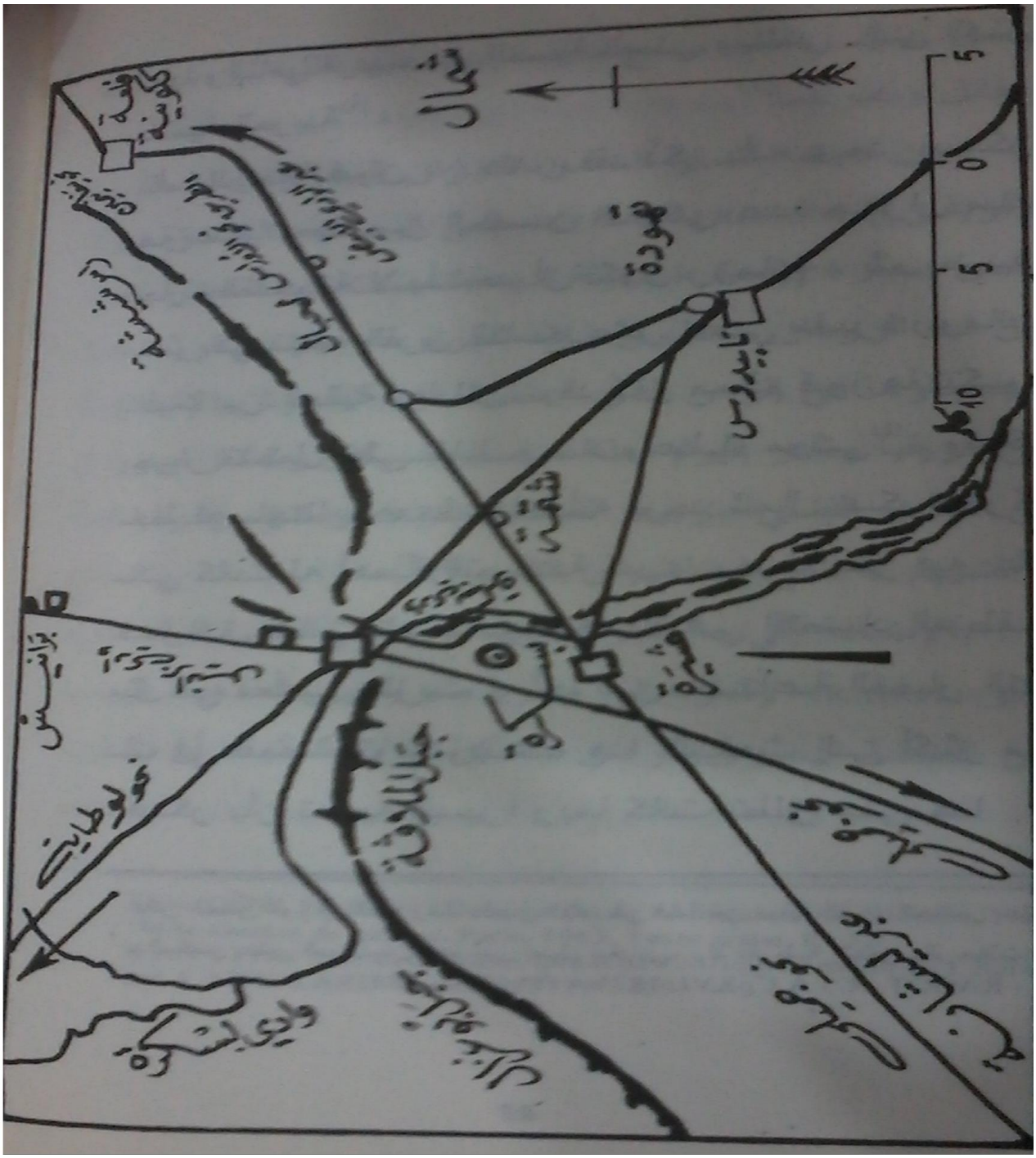

الملحق رقم 07: يوضح موقع بسكرة من التخوم الاوراسية الجنوبية.

(انظر محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص28)

ملخـــــص البحـــث:

بسكرة مدينة تاريخية قديمة، ما يزال بها بقايا أثرية شاهدة على حقب زمنية من تاريخها الإسلامي، اذ تعتبر بسكرة مدينة التاريخ والحضارة، حاضنة رفات الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري، حيث تمثلك المدينة خاصية تاريخية وحضارية واضحة المعالم، خاصة في عهد بني حفص.

Résumé

L'historique vieille ville de Biskra, ses ruines sont encore visibles sur la période de l'histoire islamique, considérant l'histoire de la ville de Biskra et de civilisation, un incubateur pour les restes de l'ibn revêtait d'Oqba Galilée Nafi Fahris, où la ville a une propriété historique et culturelle est claire, surtout dans les Beni Hafs.

البيبليوغرافيا

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1/ المصادر:

1-الإدريسي أبو عبد الله الشريف (ت559هـ/ 1164م): **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1414هـ/1994م، ج2.

2-أبي زرع الفاسي أبي الحسن علي بن عبد الله: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تصحيح وترجمة كارل يحي تورن برغ، دار الطباعة المدرسية، اوبسالة، 1983م.

3-أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر بن (ت 832هـ): **تقويم البلدان**، تصحيح البارون ماك كوكين ديسلان، دار صادر، باريس المحروسة، 1890م.

4-أبو عبد الله العبدري محمد بن علي بن سعود (ت700هـ/ 1300م): **رحلة العبدري**، تحقيق وتقديم علي إبراهيم كروي وشاكر الفحام، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط2، 1426هـ/ 2005م.

5-ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد: **سلوك المالك في تدبير المسالك**، دراسة وتحقيق ناجي التكريتي، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1978م.

6-ابن سعيد المغربي أبو الحسن: **كتاب الجغرافيا**، تحقيق وتعليق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982م.

7-الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم محمد الفارسي المعروف بالكرخي: **المسالك والممالك**، وهو معول على كتاب صور الإقليم، مطبع بريل، مدية ليدن المحروسة، 1870م.

8-البكري أبي عبيد (ت487هـ): **المغرب في ذكر بلاد افريفية والمغرب**، جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، دون سنة.

9-الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ/ 1228م): **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1398هـ/1977م، مجلد 1،3،4،5.

10- الحميري محمد بن عبد المنعم (ت 9هـ/ 15م): **الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي**، تحقيق إحسان عباس، مطابع هيد لبرغ، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975م.

11- الدرعي أبو العباس احمد بن محمد بن ناصر: **الرحلة الناصرية**، تحقيق وتقديم عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية، ط1، 2009-2010م.

12- الرعيني القيرواني أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم المعروف بأبي دينار: **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1286هـ.

13- الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقية والمغرب**، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم ومحمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1414هـ/1994م.

14- السخاوي شمس الدين بن محمد بن عبد الرحمان: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ/1992م، ج10.

15- العمري شهاب الدين أحمد بن الفضل (ت 746هـ): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب**، تحقيق حمزة احمد عباس، المجمع الثقافي، الإمارات العربية، دون سنة.

16- العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد: **الرحلة العياشية 1661-1663م**، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية، ط1، مجلد1، و2.

17- القلقشندي أبي العباس أحمد: **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1340هـ/1922م.ج14،10.

18- المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد (ق5هـ/ 11م): **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تحقيق بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1414هـ/ 1994م، ج1.

19- المراكشي ابن عذارى (كان حيا سنة 712هـ/1312م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ليفي بروفنسال وكولان، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ج1.

20- المقديسي المعروف بالبشاري: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1411هـ/1991م.

21- المقريزي: **جنى الازهار من الروض المعطار**، تقديم وتحقيق وتعليق، محمد زينهم، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ط1، 1426هـ/2006م.

22- الورتيلاني حسين بن محمد السعيد (ت1193هـ/1779م): **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار الرحلة الورتيلانية**، مطبعة بيار فانتنا، الجزائر، 1988م.

23- الوزان الفاسي حسن بن محمد المعروف بليون الافريقي: **وصف افريقيا**، ترجمة، محمد حجي ومحمد الاخضري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، ج1، ج2.

24- اليعقوبي أحمد بن ابي يعقوب ابن واضح الكاتب: **البلدان**، مطبع بريل، ليدن المحروسة، 1890م.

25- بن الحاج النميري: **فيض العباب وافاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة الى قسنطينة والزاب**، دراسة واعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

26- بن حوقل النصيبي أبي القاسم: **صورة الأرض**، دار منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.

27- بن خلدون عبد الرحمان(ت808هـ/1401م): **التعريف بابن خلدون رحلته غربا وشرقا**، عارض أصوله وعلق على حواشيه محمد بن تاويت الطنجي، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

28- بن خلدون عبد الرحمان(ت808هـ/1401م): **المقدمة**، ضبط المتن والحاشي والفهارس، خليل شحادة، مراجعة إسماعيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2006م.

29- بن خلدون عبد الرحمان بن محمد الحضرمي(ت808هـ/1401م): **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط المتن والحاشية، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م. ج1، ج6، ج7.

30- مجهول (عاش القرن 6هـ/ 12م): **الاستبصار في عجائب الأمصار**، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافة العامة، آفاق العربية، العراق، بغداد،1985م.

31- مار مول كربخال: **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي، دار النشر والمعرفة، الرباط، 1408-1409هـ/1988-1989م، ج3.

32- هاينرش فون مالستان: **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، ترجمة أبو العيد دودو، مطبعة أحمد زبانة، الجزائر،1980م، ج3

2/ المراجع العربية:

33- إبراهيم محمد الساسي العوامر: **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تعليق، الجيلالي بن إبراهيم العوامر، طبعة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ثالة، الابيار، الجزائر،2007م.

34- أبو ضيف أحمد عمر مصطفى: **القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

35- الإبراهيمي أحمد طالب: **آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي**، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، ط1، 1997م، ج4.

36- الجيلالي عبد الرحمان: **تاريخ الجزائر العام**، دار الأمة للنشر، الجزائر،2007م، ج1.

37- العربي إسماعيل: **الصحراء الكبرى وشواطئها**، وحدة الرغاية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1983م.

38- الدراجي بوزياني: **ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية**، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، دون سنة.

39- العروي عبد الله: **مجمل تاريخ المغرب**، ط5ن الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1986م، ج1.

40- الطمار محمد: **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، سلسلة الدراسات الكبرى، الجزائر، 2005م.

41- الكعاك عثمان: **موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري الى الاحتلال الفرنسي**، تقديم وترجمة أبو القاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م.

42- المدني أحمد توفيق: **كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للاتصال، رويبة، الجزائر، 2010م.

43- الميلي مبارك بن محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2.

44- بالطيب العقبي عز الدين: **من أعلام المنطقة بسكرة في القرون الثلاثة الهجرية الأولى، 27 – 300هـ/648-914م**، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2014م.

45- برتشفيك روبار: **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13م الى نهاية القرن 15م**، نقله الى العربية، حماد ساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ج1.

46- بن قربة صالح بن يوسف: **تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي**، دارسة تاريخية وأثرية، منشورات الحضارة، بئر توتة، الجزائر، ط1، 2009م.

47- بورويبة رشيد: **الدولة الحمادية، تاريخها** وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات، التاريخية، الجزائر، 1977م.

48- بونار رابح: **المغرب العربي تاريخه وحضارته**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2000م، ط3.

49- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثالث والرابع الهجريين (9، 10م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.

50- جوليان اندري شارل: **تاريخ إفريقية الشمالية**، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء الى الفتح الإسلامي، تعريب محمد مزالي البشير بن سلامة، ج1.

51- حارش محمد الهادي: **التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، وحدة بن بولعيد، 1989-1990.

52- حرز الله محمد العربي: **منطقة الزاب مائة عام من المقاومة(1830-1930م)**، دار السبيل، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008م.

53- خمار أحمد: **تحفة الخليل في نبذة من بسكرة النخيل**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عيد مليلة، الجزائر، 2012م.

54- زردوم عبد الحميد: **تاريخ بسكرة القديمة**، ترجمة أمال هيدال، مطبعة المنار، بسكرة، الجزائر، 2003م.

55- زنبير محمد: المغرب في العصر **الوسيط، الدولة، المدينة، الاقتصاد**، تنسيق محمد المغراوي، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1420هـ/1999م.

56- سالم السيد عبد العزيز: **تخطيط مدينة الإسكندرية وعمرانها في العصر الإسلامي**، دار المعارف، لبنان، 1964م.

57- سعدي عثمان: **الجزائر في التاريخ**، دار الامة، طبعة 2012م، الجزائر، 2012م.

58- عبد الستار محمد عثمان: **المدينة الإسلامية**، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1999م.

59- غانم محمد الصغير: **تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية، الآثار، الزراعة والتاريخ، الفترة الرومانية**، مطبعة عمار قرفي، جمعية التاريخ والثرات لمنطقة الاوراس، دون سنة.

60- غانم محمد الصغير: **مواقع ومدن أثرية**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.

61- صيد عبد الحليم: **أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة**، بسكرة، 1420هـ/2000م.

62- فركوس صالح بن نبيلي: **تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي الى غاية الاستقلال (814ق م/ 1962م)**، دار أيدوكم، دون بلد، طبعة 2013م.

63- مارسيه جورج: **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، نشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م.

64- محمد محمود وصفي: **دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية**، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1980م.

3/ الاطروحات والرسائل الجامعية:

65- رحماني موسى: **الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر 27 – 362 هـ/637 – 972م**، مذكرة ماجيستير، تخصص تاريخ المجتمع المغاربي، قسم التاريخ والآثار إشراف د/بوبة مجاني، جامعة منتوري قسنطينة، 1428هـ/2007م.

66- مديازة صورية: **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية انتقال الفاطميين إلى مصر، 21 362هـ/642-972م**، مذكرة ماجيستير، تخصص التاريخ الإسلامي،

جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم التاريخ والآثار، إشراف د/مسعود مزهودي، 1431هـ/2010م.

67- مروان مصطفى: **دراسة للمعالم الاثرية في مدينة ندرومة العتيقة**، رسالة ماجيستير، اشراف معروف بلحاج، تخصص فنون شعبية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2004م.

68- منصورية قدور: **ندرومة دراسة تاريخية وحضارية بين القرون السابع والعشر هجرية 633-962هـ/1236-1554م**، مذكرة ماجيستير، اشراف مكيوي محمد، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، 1432-1433هـ/2011-2012م.

4/ المجلات والدوريات:

69- بوباية عبد القادر: **الحركة العلمية في منطقة الزاب على عهد بني مزني**، المجلة الخلدونية، الملتقى الوطني السابع (بسكرة عبر التاريخ)، دولة بني مزني، العدد 90، جانفي 2011م/ محرم 1432هـ، بسكرة، الجزائر،2000م.

70- حساني مختار: **اطلالة حول مراحل تاريخ بسكرة في فترة العصور الوسطى من خلال المصادر المخطوطة والمطبوعة**، تنسيق ربيعة العدوية حبة، الملتقى الوطني الأول

لمنطقة الزيبان، بسكرة، مطابع دار علي بن زيد للطباعة والنشر، اشراف المديرية الولائية، للثقافة، بسكرة.

71- شلوق فتيحة: **دراسة معمارية وأثرية لجامع سيدي موسى الخذري، بسكرة**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الرابع، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، جانفي 2000م.

72- شهبي عبد العزيز: **بسكرة عاصمة الزيبان، نشأة المدينة وتطورها.** مديرية التراث الثقافي، الملتقى4 للبحث الاثري والدراسات التاريخية، تندوف، 1996م.

73- علوي مصطفى: **الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغربة، ما بين القرنيين السابع والتاسع (الثالث عشر والخامس عشر ميلاديين)**، دورية كان التاريخية، العدد 14، ديسمبر، 2014م.

74- عمار غرايسة: **من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية ورجلان أنموذجا**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، 2011م، المركز الجامعي الوادي، 2011.

75- غانم عبد الغني: **مدينة بسكرة نموها وتهيئة مجالها الحضري**، حوليات وحدة البحث بإفريقيا العالم العربي، مجلة محكمة، دار الهدى، عيد مليلة، الجزائر، 1999م، مجلد3.

76- مصمودي فوزي: **الزاب المصطلح والدلالات**، المجلة الخلدونية، العدد90، بسكرة، الجزائر، 1432هـ/2011م.

77- مصمودي فوزي: **بسكرة عروس الزيبان وبوابة الصحراء**، مجلة الفيصل، العدد 315، بسكرة، الجزائر، دون سنة.

5/ القواميس والمعاجم:

78- عمارة محمد: **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية**، دار الشروق، بيروت، ط1، 1413هـ/1993م.

79- صيد عبد الحليم: **معجم أعلام بسكرة**، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2041م.

6/ الموسوعات:

80- أطلس العالم الكبير: **مغامرات مشوقة في الجغرافيا**، مكتبة الصغار، وزارة الاقتصاد والتجارة، بيروت، لبنان،15 أفريل 1999م.

81- حساني مختار: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، مدن الجنوب، دار الحكمة، الجزائر، 2007م، ج2.

82- **سلسلة مدن جزائرية، بسكرة**، شمس الزيبان للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة، تصميم سليم نجاعي، ط1، 2011م.

83- **سلسلة بسكرة السحر المثمر**: دار الحكمة، دون طبع، دون سنة،

84- شربل كمال موريس: **الموسوعة الجغرافية للوطن العربي**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1419هـ-1998م.

85- محمد سليمان الطيب: **موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية**، جمع وتنسيق لفليطي عبد الحميد، دار الفكر العربي، مكتبة نبراس الصفا التاريخية، مدينة نصر، ط2، 1418هـ/1997م، مج1، ج1

الفهرس

فهرس الموضوعات:

مقدمة.....ب

الفصل التمهيدي: الإطار الجغرافي لمدينة.....10

الموقع الجغرافي والفلكي.....10

التضاريس.....12

التربة.....13

المناخ.....14

مصادر المياه.....15

الغطاء النباتي.....18

الفصل الأول: مدينة بسكرة عبر التاريخ.....20

I. نشأة مدينة بسكرة..... 21

1/ مدينة بسكرة من خلال المصادر الجغرافية والتاريخية.....21

2/ بسكرة بين التأسيس والنشأة.....28

1.2. التأسيس.....28

2.2..العوامل المساعدة على تأسيسها.....31

3/ أصل تسمية مدينة بسكرة.....34

Π بسكرة في العصر الإسلامي.....38

1/ بسكرة أثناء الفتح..... 38

2/ بسكرة في عهد الاغالبة والفاطميين.....40

3/ بسكرة في عهد الحماديين والحفصيين.....44

4/ امارة بني مزني.....48

5/ التركيبة السكانية لمدينة بسكرة.....50

أ/ البربر.....52

ب/ العرب.....53

ت/ المولودون.....54

الفصل الثاني: المظاهر الحضارية لمدينة بسكرة.....56

I. الأوضاع الاقتصادية.....57

1/ أهمية الموقع الجغرافي والتضاريسي لمدن الزاب.....57

2/ النشاطات الاقتصادية.....58

Π الحركة العلمية في مدينة بسكرة.....69

1/عوامل ازدهار الحركة العلمية بالمدينة.....69

2/ أصناف العلوم وعلمائها ببسكرة.....73

3/العلماء الوافدون.....81

الفصل الثالث: العمارة في بسكرة.....86

I.العمارة العسكرية.....87

الأبواب (المداخل) والاسوار.....87

الخنادق والابراج.....89

الانفاق.....90

II.العمارة الدينية والمدنية.....91

أولا: العمارة الدينية..... 91

ثانيا: العمارة المدنية.....102

خصائص العمارة في بسكرة.....110

خاتمة.....111

الملاحق.....116

الملخص.....123

البيبلوغرافيا.....124